د. إبراهيم عوض

معركة الشعر الجاهلي

بين الرافعي وطه حسين

بحث موضوعي مفصّل

١٩٨٧

الألوكة
www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

د. إبراهيم عوض

معركة الشعر الجاهلي

بين الرافعي وطه حسين

بحث موضوعي مفصّل

١٩٨٧

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الإهداء

إلى يمنى وعلاء الدين زهرة حياتى ، وقاهما الله من كل سوء ، وإلى زوجتى ، التى تقوم مشكورة بنسخ ما أكتب ، على ما فى ذلك من عنت وبرغم انشغالها فى بحثها العلمى .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مقدمة

في الصفحات التالية عرض مفصل لقضية الشعر الجاهلي ، التي أثارها الدكتور طه حسين بكتابه « في الشعر الجاهلي » ، وهبت طائفة من النقاد والعلماء يردون عليه ويفندون منهجه وآراءه ، وكان على رأسهم المرحوم مصطفى صادق الرافعي ، الذي ركزت الكلام عليه من بينهم هنا .

وقد حاولت بكل ما استطيع أن أعرض المسألة بالحياد العلمي المطلوب ، فلم أضع في حسباني نصرة أحد الطرفين على الآخر ومن ثم تقصد وافقت كلا واحد منهما على ما أعتقد أنه الصواب وخالفته فيما أحسب أنه خطأ .

وقد يضيق بعض بهذا الموقف مني أو ذاك ، بيد أن ذلك لم يكن في بالي وأنا أكتب هذا البحث ، اذ كان شغلي الشاغل هو ارضاء الحق جل وعلا . والذي أعرفه أنني كتبته وأنا راضي الضمير ، وفرغت منه وأنا أيضا راضي الضمير . من هنا فلا على اذا رضي قوم أو سخط آخرون ، فالمهم رضا ربي . فان رضي ، وهو غاية المراد ، وكان الذي بيني وبينه عامرا فلست أبالي ان كان الذي بيني وبين غيره خرابا .

اللهم تقبل عملي ، واجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة ، وأضيء بصيرتي بنور الحق واليقين ، وثبت قدمي على صراطك المستقيم ، وامدني بمدد من عندك ، انك يا مولاي نعم النصير !

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة — www.alukah.net

متى وكيف بدأت معركة الشعر الجاهلى ؟

فى سنة ١٩٢٥ تحولت الجامعة المصرية من جامعة اهلية الى جامعة حكومية ، وفى تلك السنة نفسها (فى بداية العام الدراسى ٢٥ — ١٩٢٦) ابتدأ الدكتور طه حسين يحاضر عن الشعر الجاهلى محاضراته التى اصدرها بعد ذلك فى كتابه المشهور الذى احدث ضجة هائلة اثر صدوره لما حواه من قضايا على اشد جانب من الخطورة ، وهو كتاب « فى الشعر الجاهلى » ، الذى انتهى امره الى ان صودرت نسخه من الأسواق ، ثم حذف منه مؤلفه فصلا واضاف اليه عدة فصول واعاد اصداره بعد ذلك بعنوان « فى الأدب الجاهلى » .

وما ان وقعت نسخة من الكتاب فى يد المرحوم مصطفى صادق الرافعى حتى كتب مقالة بعنوان « قال انما اوتيته على علم ، بل هى فتنة » ، وهى مقالة طويلة استغرقت (فى الطبعة الثالثة من كتابه « تحت راية القرآن » ، ست عشرة صفحة من القطع الكبير ، ثم تتابعت مقالاته فى هذا الموضوع ، تلك المقالات التى كانت عناوين معظمها عبارات من القرآن الكريم تدل على مضمونها العام والتى جمعها بعد ذلك فى كتاب له سماه «تحت راية القرآن». وهى تسمية ، كما ترى ، تشى بأنه رحمه الله كان يرى انه بمقالاته هذه انما هو جندى يرفع راية القرآن ويدافع عنها وعنه .

والذى اعرفه انه رحمه الله كان أول من تناول بالنقد (فى مقالته المشار اليها آنفا) كتاب « فى الشعر الجاهلى » ، اذ اصدرها اثر وقوع الكتاب فى يده ، ولا اظن انه كان كان قد مر وقت يذكر بين صدور الكتاب وبين مصيره الى يد الرافعى ، اذ لم يكد ينشر الرافعى مقالته الثانية عن الكتاب حتى « نهض (كما يقول هو) العلماء كافة فى جميع المعاهد الدينية فى اسيوط واسكندرية وطنطا ودمياط والزقازيق والقاهرة فحققوا الحاد استاذ الجامعة (يقصد طه حسين) وجهله وخطئه ، ثم ارسلوا البرقيات الى جلالة ملك مصر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ورياسة وزرائها ووزارة المعارف ونبهوا الأمة جمعاء ، فخفق البرق من كل جهات القطر بالاحتجاج على أستاذ الجامعة » (١) ، ومعنى هذا أنه لم يسبق الرافعي أحد آخر في نقد الكتاب وتبيين ما فيه من هجوم على القرآن والاسلام والا لنهض العلماء نهضتهم هذه قبل ذلك . وقد عاد الأستاذ الرافعي رحمه الله فذكر في مقالة تالية أنه أول من نبه الى ما في كتاب طه حسين من الحاد ثم تبعه العلماء في ذلك(٢) ، وهو ما يؤكد أن الرافعي كان هو السباق الى نقد كتاب طه حسين . هذا ما استنتجته من سياق هذه القضية وسير احداثها ولا اعلم غيره ، فان ظهر أني أخطأت رجعت عن رأيي .

على أن هذا شيء والقول بأن الرافعي أول من انتقد ما قال طه حسين عن الشعر الجاهلي شيء آخر ؛ فقد سبقه الى هذا الأستاذ عباس فضلي والأمير شكيب ارسلان (٣) . وقد ذكر المرحوم الرافعي انه كان يعلم أن طه حسين يلقي دروسه في الشعر الجاهلي غير أنه لم يقف على شيء منها ، حتى نبهه مقال الأستاذ عباس فضلي ثم مقال الأمير شكيب ارسلان (٤) . ان كتاب « في الشعر الجاهلي » لما يكن قد صدر ، ومن ثمة كان النقد الذي وجهه الأستاذان الفاضلان الى طه حسين منصبا على ما يقوله في محاضراته(٥) . وقد دارت مقالة الأستاذ فضلي على ما انتهى اليه طه حسين من انه « لا نأثر للوثنية واليهودية والنصرانية على الشعر العربي والجاهلي منه على الأخص ، وان ما وجد من الشعر مشتملا على مبادىء للوثنية او اليهودية انما هو مدسوس على من نسب اليهم ، وانه لم يكن موجودا في عصرهم » ، وعلى

---

(١) تحت راية القرآن/مطبعة الاستقامة بالقاهرة/ط٣/١٩٥٣/ص ١٥٨ .

(٢) انظر ص ١٦٧ من من كتاب الرافعي ، وهو من مقالة بعنوان « فلما أدركه الغرق » .

(٣) انظر مقالتيهما في كتاب « تحت راية القرآن » /ص ٨٢١ — ٨٦ و٨٧ — ٩٦ على الترتيب .

(٤) انظر تحت راية القرآن/ص ٦٩ .

(٥) انظر تحت راية القرآن/ص ٨١ ، وص ٨٨ متنا وهامشا .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ما ينى عليه الأستاذ الدكتور هاتين الفيحتين من « أن المسلمين منعوا تداول كل شعر اشتمل على مبادىء هذه الديانات مما يخالف سنن الإسلام ومبادئه ومحوه جميعه ، وأن أهل هذه الملل بعد سكون حركة الفتوحات واستتباب السلم ويقظة الحركة الفكرية فى ميدان الأدب والعلم قد دفعهم تعصبهم لشعراء ملتهم السابقين الى القول عليهم بما لم يقولوه ونسبة أشعار اليهم لم تكن من نسج بيئاتهم ولا هى من منتوجات عقولهم »(٦) . كما دارت مقالة شكيب ارسلان ، التى ظهرت بعد مقالة الأستاذ فضلى على النقطة نفسها .

ليس الرافعى اذن أول من انتقد ما قاله طه حسين عن الشعر الجاهلى ، ولكنه فيما أعرف هو أول من تناول آراء طه حسين المكتوبة فى هذا الموضوع تناولا مستفيضا مفصلا ، لا فى مقالة واحدة بل فى عدة مقالات قلب فيها كتاب « فى الشعر الجاهلى » تقليبا ، وأول من نبه الى ما فى الكتاب من آراء تتناقض من الايمان بالاسلام وكتابه ونبيه . ولا شك أن من تناولوا آراء طه حسين بعد ذلك قد استفادوا من هذه المقالات العميقة التى ترك فيها الرافعى اغرابه فى الأسلوب والفكرة والصورة وترك نفسه الى حد كبير على سجيتها ، فامتع ببيانه المتدفق وعلمه الرصين وتهكمه اللاذع ، وان لم يعن هذا اننا نوافقه على كل ما قاله .

وليس معنى هذا أن الرافعى لم يتناول رأى طه حسين فى الشعر الجاهلى قبل أن يصدر كتابه عن هذا الشعر ، فقد كتب فى ذلك مقالات أربعا عناوينها كالآتى : « الى الجامعة المصرية » و « والى الجامعة ايضا » « وشهد شاهد من أهلها » و « فلسفة كمضغ الماء »(٧) . وهى مقالات قصيرة

---

(٦) المرجع السابق/ص ٨١ .

(٧) ذكر الأستاذ الرافعى أنه كتب مقالاته التى يرد بها على محاضرات طه حسين وكتابه « فى الشعر الجاهلى » فى جريدة « كوكب الشرق » . انظر تحت راية القرآن/ص ٦٩ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بالنسبة لمقالاته التي كتبها بعد ذلك في نقد كتاب « في الشعر الجاهلي » بعد صدوره . كما انها تدور في الأساس حول ما دارت عليه مقالات عباس فضلي وشكيب ارسلان مع بعض الاضافة ، ولكن في ايجاز شديد . وقد وجه المقالة الأولى الى المسؤولين في الجامعة يسألهم : هل قرر استاذها (يعني طه حسين) ما نسب اليه من تشكيكه في الشعر الجاهلي وان القرآن هو الذي يمثل العصر الجاهلي لا ذلك الشعر المنسوب اليه وان الغزل المعزو الى امرىء القيس هو لابن أبي ربيعة ؟ واذا كان قد قرر ذلك فما ادلته ؟ وهل يصح ان يترر ذلك في دروسه التي يتقاضى اجرها من مال الأمة ؟ (٨) أما في المقالة الثانية فقد شكك في مقدرة طه حسين على الاضطلاع بتدريس تاريخ الأدب العربي (٩) ، وفي الثالثة يتهمه بالتلاعب بالتاريخ ورمى الاسلام بانه دين الحرج والتعصب وضيق الفكر اذ ان المسلمين وحكامهم ، على ما قال ، قد محوا في بداية الاسلام شعر اليهود والنصارى والوثنين . كما يسميه « المبشر طه حسين » ، ويشير الى مقالة في « البلاغ » يتهم كاتبها طه حسين انه سرق محاضرته عن امرىء القيس من من دائرة المعارف الاسلامية ، ويطالب الجامعة بان تعقد مناظرة بينه وبين طه حسين(١٠) . وفي المقالة الرابعة يسفه منهج طه حسين في دراسة التاريخ ، ويعود فيؤكد انه لا يصلح للقيام بالتدريس في الجامعة ، ويختتمها بأرجوزة تهكمية فيه . وقد الحق بهذه المقالة حاشية ذكر فيها انه بعد كتابته لها تلقى كتاب « في الشعر الجاهلي » وانه قرأ فصل « مرآة الحياة الجاهلية يجب ان تلتمس في القرآن »، وعد ذلك خبلا عقليا (١١) .

والملاحظ من مقالتي الأستاذ فضلي والأمير شكيب ارسلان ومقالات الرافعي الأربع هذه انه لم يرد في أيها ذكر لما قاله طه حسين عن قصة

---

(٨) انظر تحت القرآن/ص ١١٣ — ١١٥ .
(٩) المرجع السابق/ص ١١٦ — ١١٨ .
(١٠) المرجع السابق/ص ١١٩ — ١٢٢ .
(١١) انظر المقالة في « تحت راية القرآن » ص ١٢٣ — ١٢٧ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سيدنا ابراهيم وسيدنا اسماعيل عليهما السلام فى القرآن من انها اسطورة شاعت بين العرب فى العصر الجاهلى واستغلها الاسلام لأسباب سياسية وغير ذلك ، وهو الفصل الذى اهاج الدنيا عليه وعد كلامه فيه مروقا من الاسلام فحذفه من الطبعة الثانية من كتابه ، الذى غير عنوانه الى « فى الأدب الجاهلى » . فهل لم يلمس طه حسين هذا الموضوع فى محاضراته ؟ الأدب الجاهلى » . فهل لم يلمس طه حسين هذا الموضوع فى المحاضرة ؟ أم هل تعرض له فى محاضراته قبل صدور الكتاب ولكن لم يبلغ كلامه فيه أحدا ممن كتبوا عن هذه المحاضرات ؟ لقد نفى لطفى السيد ان يكون طه حسين قد ألقى على طلبته ما جاء فى الكتاب (١٢) فان كان يقصد كل شىء جاء فى الكتاب فهو يجافى الوقائع التاريخية ، والا فكيف عرف عباس فضلى وشكيب أرسلان وطه حسين ببعض أفكار الكتاب قبل صدوره ؟ كذلك فان عندنا الأستاذ محمود محمد شاكر ، الذى كان فى ذلك الوقت واحدا من طلبة قسم اللغة العربية الذين كان طه حسين قد حاضرهم فى هذا الموضوع ، والذى شهد بأن طه حسين قد حاضرهم فى هذا الموضوع ، وانه ناقش طه حسين فى آرائه ، بل واتهمه فيما بينه وبين بعض الطلاب وكذلك أمام عدد من المستشرقين الذين كانوا أساتذة فى كلية الآداب فى ذلك الوقت بانه سرق أفكاره هذه من مارجليوث المستشرق الانجليزى ، وانتهى الأمر به الى ضيق ونفور ، فابغض الجامعة وتركها ولم يكمل دراسته بها (١٣) . بيد أن الملاحظ ايضا ان الاستاذ شاكر لم يشر الى ان طه حسين قد رفض صراحة شيئا مما جاء فى القرآن ، مما يعود بنا الى الأسئلة السابقة (حول هذه النقطة) التى لا نجد لها جوابا ، اللهم الا اذا أخذنا ما قاله طه حسين فى كتابه على ظاهره ، اذ ذكر انه أذاعه على تلاميذه ، وانه ليس سرا ما يتحدث به الانسان

---

(١٢) تحت راية القرآن/ص ٣٨٧ .

(١٣) انظر محمود شاكر/المتنبى/السفر الأول/ص ١٥ — ٢٦ ، ٤١ — ٤٦ ، ومجلة الثقافة/العدد ٦٠ ، سبتمبر ١٩٧٨/ص ٧ ، ١٢ ، ١٤ (وذلك من مقالة للأستاذ شاكر أيضا بعنوان « المتنبى . ليتنى ماعرفته ») .

إهداء من شبكة الألوكة — www.alukah.net

الى مائتين من التلاميذ (١٤)؟ . ومع ذلك فقد يجيء في المصير سؤال : لو قد عنى طه حسين هذا الذي قاله بحضانيره ، بمعنى هل حاضر فعلا طلابه قبل صدور الكتاب في كل ما ورد في هذا الكتاب ام انه أرسل القول بغير تجرز ؟ ان الذي جعلني التفت لهذه المسألة هو ، كما اشرت ، ان احدا من الذين كتبوا عن المحاضرات قبل صدور الكتاب لم يذكر ان طه حسين قد رفض ما جاء في القرآن صراحة ، بل ان الاستاذ محمود شاكر ، حتى بعد مرور هذه العقود ، لم يشر هو ايضا الى هذه النقطة . فان كانت الاجابة على الشق الثاني من السؤال بنعم فمعنى ذلك ان لطفي السيد حين نفى ان يكون طه حسين قد حاضر الطلاب فيما جاء بعد ذلك في كتابه ربما كان قصده أن طه حسين لم يهاجم القرآن في محاضراته ، وهو في الحقيقة ما يفهم من عبارة الشيخ محمد احمد عرفه في كتابه « نقض مطاعن في القرآن الكريم » (١٥) . ومع ذلك فان الفصل الذي اتهم فيه طه حسين الاسلام بانه استغل ما سماه باسطورة هجرة ابراهيم واسماعيل الى مكة لاسباب سياسية هو من اوائل الفصول في الكتاب ، اذ هو الفصل الرابع من الكتاب الأول (وبالمناسبة فكتاب « في الشعر الجاهلي » مقسم الى ثلاثة كتب) ، ويشغل الصفحات من ٢٤ الى ٣٠ . وما جاء فيه هو واحد من الأسس التي بنى عليها نظريته (اقول : « نظريته » هنا تجاوزا . وسوف نناقش ذلك فيما بعد تفصيلا) ، مما يجعلني استبعد ان يكون طه حسين لم يذكر ذلك في محاضراته . ولكني ، كما سلف القول ، اصطدم بالحقيقة التي مؤداها ان احدا ممن تكلم عن محاضراته لم يشر ، فيما اعرف ، الى انه رد فيها هذا الكلام . وهي قضية ، كما ترى ، لا يمكنني البت فيها برأي لا معقب له ، وانما يمكن ان يجلي لنا هذا الغموض احد الذين سمعوا هذه المحاضرات ممن لا يزالون احياء ، اطال الله في اعمارهم .

---

(١٤) انظر محمد احمد عرفه/نقض مطاعن في القرآن الكريم/ص ١١٦ — ١١٧ . وقد حافظ الدكتور طه حسين على هذه العبارة حتى في الطبعة الثانية للكتاب ، الذي غير عنوانه الى « في الأدب الجاهلي » . انظر ص ٦١ من هذا الكتاب/دار المعارف/١٩٦٤ .

(١٥) انظر ص ١١٦ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

القضايا المتصلة بهذه المعركة

وقد تناولت مقالات المرحوم الرافعي التي انتقد فيها كتاب « في الشعر الجاهلي » عدة قضايا هامة : الأولى انه اتهم طه حسين في دينه ، والثانية حرية الفكر ، والثالثة قوله انه سرق أفكاره من المستشرقين ، والرابعة تسفيهه لمنهجه الذي اتبعه في دراسة الشعر الجاهلي ومناقشته لأرائه وتفنيدها . وسوف نتناول هذه القضايا واحدة بعد الأخرى مع ما يتصل بكل منها من قضايا أخرى .

ونبدأ باتهام الرافعي لطه حسين في دينه . وقبل أن نعرض لما قال الرافعي في هذا الصدد نذكر أن سماحة كريم يربط بين هجوم الرافعي على طه حسين عند ظهور كتاب « الشعر الجاهلي » وبين انتقاد طه حسين قبل ذلك لأسلوب الرافعي (١٦) . وقد ساق هذا بطريقة توحي أن الرافعي حين انتقد كتاب « في الشعر الجاهلي » انما كان مدفوعا بعامل الانتقام لا بدافع البحث العلمي والغيرة على الدين . وهو ما فعله أيضا عند اشارته الى نقد المرحوم رشيد رضا للكتاب ذاته ، اذ أرجع هذا النقد الى اتهام طه حسين لرشيد رضا في صدق تدينه واخلاص دعوته الى الدين (١٧) . وانا وان كنت لا أستبعد تدخل العوامل الشخصية في هجوم الرافعي على آراء طه حسين (الرافعي بشر على كل حال) لا أظن أن هذه العوامل هي المحرك الأول للرافعي رحمه الله ، والا لما نعته فكر طه حسين آياه بخير في كتابه

---

(١٦) انظر سماحة كريم/ماذا يبقى من طه حسين/ص ٥٠ — ٥١ وانظر في هذه المعركة القديمة كتاب الرافعي « تحت راية القرآن » ص ١٠٠ — ١١٢، وحديث الأربعاء/لطه حسين/ج ٣/ص ٣ — ٤٠ . كذلك فان كتاب « طه حسين الشاعر الكاتب » لمحمد سيد كيلاني يلقي ضوءا على بدايات الخلاف بين الكاتبين . ص ١١٦ — ١٢٠ .

(١٧) انظر ماذا يبقى من طه حسين/ص ٥١ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

« فى الشعر الجاهلى » نفسه وثناؤه فيه على كتابه « تاريخ آداب العرب » من التعرض له (على الأقل بهذا العنف)(١٨) ولما هاجم لطفى السيد ايضا ، وهو لم يسىء اليه ، بل على العكس مدح كتابه فى تاريخ الأدب العربى حين صدوره مدحا جزيلا ، وجعله محور حديثه فى كل منتدى يذهب اليه فى القاهرة(١٩) ، وعلى اية حال فالعبرة بصحة راى الرافعى أو عدمه ، وهل استند فى اتهامه لغريمه الى دليل لو انه ارسل الاتهام ارسالا ؟ كذلك لا ننس انه اذا كان الرافعى قد اتهمه فى دينه فقد سبق ان فتح طه حسين هذا الباب وشكك فى تدين رشيد رضا واخلاصه فى الدعوة الى الدين كما رأينا . اقول هذا لأن بعض الباحثين قد حمل على الأستاذ الرافعى لموقفه هذا من طه حسين وحذرنا من ان نكون آراءنا فى هذه المسألة عن طريق السماع(٢٠) .

ونحن هنا لن نكتفى بترديد رأى الرافعى فى طه حسين بل سنعرضه على النصوص وسنقلبه على كل وجوهه . واريد أن أصارح القارىء منذ الآن بأن العلم لا يعرف تلك الحساسية التى تصيب بعض الناس حينما يرون من ينتقد هؤلاء الذين يعظمونهم ، وتدفعهم الى القول باننا ينبغى ألا نتعرض لايمان هذا الشخص او ذاك ، على اساس ان هذا تدسس الى القلوب نهى عنه الاسلام . ان هذا الاعتراض يصح لو ان الباحث يرجم فى هذه القضية بالغيب ، ولكن اذا كانت هناك نصوص مقطوع بنسبتها لا يمكن تأويلها فمعنى

---

(١٨) وذلك بعد أن كان قد عاب هذا الكتاب قبل ذلك . انظر تحت راية القرآن/ص ١٠٠ ، ١٣١ ، وفى الشعر الجاهلى/ص ٩٠ — ٩١ (ص ١٩٢ من «فى الأدب الجاهلى»)،ومحمد سعيد العريان/حياة الرافعى/ص٦٩، ١٥١.

(١٩) انظر فى هجوم الرافعى على لطفى السيد ومدح هذا لكتاب الرافعى « تحت راية القرآن » ص ٢٢١ ، ٢٧٢ — ٢٧٤ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ٣١٥ — ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٤ والعريان/حياة الرافعى/ ص ٦٨ — ٦٩ .

(٢٠) انظر مقالة د. ابراهيم عبد الرحمن « الى خصوم طه حسين : النص الكامل لمقالة مرجليوث فى براءة عميد الأدب العربى » الأهرام/ الجمعة ١٩٨٢/٢/٧ الصفحة الأدبية .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلك أن للباحث الحق في دراسة الأمر . وقد سبق أن تناول كثير من الدارسين عقائد أمثال يزيد بن الوليد وابن المقفع والمتنبى والمعرى والحاكم بأمر الله ، فلم نسمع من ينكر عليهم ، فلماذا الكيل بمكيالين اذن ؟ أيا ما يكن الأمر فاننا هنا بصدد تناول راى الرافعى في عقيدة طه حسين ، وهذا الراى جزء من تاريخنا الفكرى والأدبى لا اظننا نكون أمناء لو أهلنا عليه التراب . كذلك فاننا لا ندعى أن ما سنصل اليه من نتائج هو كلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلا يقول هذا الا جاهل أو مغرور ؛ وانما هو اجتهاد علمى قد يصح وقد يخطىء . واذا كان طه حسين قد راى أن من العلم أن يقول ما قال فى القرآن الكريم فلماذا نعيب الرافعى اذا راى في موقف طه حسين هذا رايا ؟

ان الرافعى يرى أن طه حسين أداة أوربية استعمارية(٢١) ، غرضه توهين عرى الاسلام(٢٢) ، ويأخذ عليه انه لم يصل على النبى مرة واحدة في كتابه ولو بحرف (ص) كما يفعل نصارى العرب (٢٣) ، ويسميه « المبشر طه حسين » مرة و « المستر حسين » أخرى (٢٤) ، ويشبه الجامعة (فى مجال العلم) بمستشفيات المبشرين (فى مجال الطب)(٢٥) ، ويكنيه « أبا مرجريت » و « أبا البرت » (٢٦) ، ويشير الى دور زوجته فى حياته وتأثيرها عليه (٢٧) ، ويتهمه بالزندقة(٢٨) والالحاد(٢٩) ، ويورد أيضا اتهام الشيخ مفتاح له بأنه كافر وتحديه له ان يقاضيه(٣٠) . وهو من ثمة يدعو

---

(٢١) تحت راية القرآن/ص ١٨٦ .
(٢٢) المرجع السابق/١٩٩ .
(٢٣) المرجع السابق/ص ٢٠٧ .
(٢٤) ص/١٢٢ ، ص/١٧٧ .
(٢٥) ص/١٤٥ .
(٢٦) ص/٢٠٠ ، ٣٤٤ ، ٣٧٣ .
(٢٧) ص/٣٤٩ .
(٢٨) ص/١٢٩ — ١٣٠ .
(٢٩) ص/٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٩ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الى ابعاده عن الجامعة وحماية النشء من أفكاره(٣١) ويحرض عليه وزارة المعارف لأنه ، كما يقول ، يناقض بآرائه ما يقال للطلبة فى كتبها ومدارسها ، والمفروض فى نظره الا يكون هناك تناقض ، والا فعليها أن تعلن صحة آرائه وتتابعه عليها(٣٢) .

وحين يدافع لطفى السيد عن طه حسين على أساس حرية الفكر يرد الرافعى بأنه لا ينازعه فى معانى حرية الرأى وأشباهها ولكن النزاع فى الجهل والكفر(٣٣) ، ومن هنا نراه يهاجم حرية الفكر اذا أدت الى الكفر وتقطيع الأرحام(٣٤) ، وان كان قد عاد فى موضع آخر فسلم للجامعة بحرية الكفر ، لا الفكر فقط (يأسا منه فيما هو واضح أن يصيح المسؤولون فى الجامعة السمع اليه فى هذه النقطة) ، وركز على « الغلطات التاريخية والأدبية التى وقع فيها أستاذها »(٣٥) .

واتهام الرافعى لطه حسين بالكفر قائم على أساس أن هذا الأخير يرى أن القرآن تأليف لا وحى ، وأن النبى عليه الصلاة والسلام رجل سياسة لا رسول ، وانه يهاجم الصحابة(٣٦) ، وانه يرفض الحديث الصحيح(٣٧) . وفى رأى الرافعى أن طه حسين يهاجم الأدب العربى « لأنه أساس فى لغة القرآن ، ولأن القرآن أساس فى الدين ، ولأن الدين ينافى مذهبهم فى الحضارة الغربية ، التى يعملون لها جهد طاقتهم »(٣٨) .

---

(٣٠) ص/٢٤٢ — ٢٤٣ .
(٣١) ص/١٨٨ .
(٣٢) ص/١٧١ .
(٣٣) ص/٣١٤ ، وان كان ظاهر كلامه قد يوحى بغير هذا .
(٣٤) ص/٣٠٦ .
(٣٥) ص/٢٧٣ .
(٣٦) تحت راية القرآن/ص ٢٠٥ .
(٣٧) تحت راية القرآن/ص ١٩٤ ، ٢٠٥ .
(٣٨) المرجع السابق/ص ٣٠٦ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والرافعى رحمه الله لا يلقى اتهاماته بغير دليل ، بل يسوق ما قاله طه حسين من اننا « يجب حين نستقبل البحث عن الأدب العربى وتاريخه أن ننسى قوميتنا وكل مشخصاتها وأن ننسى ديننا وكل ما يتصل به » (٣٩) ، وقوله (٤٠) انه للتوراة أن تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ، ولكن ورود هذين الاسمين فى التوراة والقرآن لا يكفى لاثبات وجودهما التاريخى ، فضلا عن اثبات هذه القصة التى تحدثنا بهجرة اسماعيل وابراهيم الى مكة ... ونحن مضطرون الى أن نرى فى هذه القصة نوعا من الحيلة فى اثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة وبين الاسلام واليهودية والتوراة والقرآن من جهة أخرى »(٤١) ، وما قاله فى ص ٢٨ — ٢٩ من الكتاب نفسه من أن قريشا « كانت فى هذا العصر (يقصد : عصر ما قبل الاسلام) ناهضة نهضة مادية تجارية ، ونهضة دينية وثنية ، وهى بحكم هاتين النهضتين كانت تحاول أن توجد فى البلاد وحدة سياسية وثنية مستقلة»، وانه « اذا كان هذا حقا ، ونحن نعتقد انه حق ، فمن المعقول أن تبحث هذه النهضة الجديدة لنفسها عن أصل تاريخى قديم يتصل بالأصول التاريخية الماجدة التى تتحدث عنها الأساطير . واذن فليس ما يمنع قريشا من أن تتقبل هذه « الأسطورة » التى تفيد أن الكعبة من تأسيس اسماعيل وابراهيم ، كما قبلت روما قبل ذلك ولأسباب مشابهة « اسطورة » أخرى صنعها اليونان تثبت أن روما متصلة باينياس بن بريام صاحب طروادة »(٤٢) وكذلك ما قاله فى ص ٨٠ من كتابه السالف الذكر من أن القرآن « يذكر التوراة والانجيل ويجادل فيهما اليهود والنصارى . وهو يذكر غير التوراة والانجيل شيئا آخر هو صحف ابراهيم . ويذكر غير دين اليهود

---

(٣٩) المرجع السابق/ص ١٤٠ — ١٤١ . والنص موجود فى ص ١٢ فى كتاب « فى الشعر الجاهلى » .

(٤٠) ص/٢٦ من كتابه « فى الشعر الجاهلى » .

(٤١) تحت راية القرآن/ص ١٤٥ — ١٤٦ .

(٤٢) المرجع السابق/ص ١٤٧ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والنصارى دينا آخر هو ملة ابراهيم ، هو هذه الحنيفية التى لم نستطع الى الآن أن نتبين معنـــاها الصحيح ، واذا كان اليهود قد استأثروا بدينهم وتأويله ، وكان النصارى قد استأثروا بدينهم وتأويله ، ولم يكن أحـــد قد احتكر ملة ابراهيم ولا زعـــم لنفسه الانفراد بتأويلها فقد أخـــذ المسلمون يردون الاسلام فى خلاصته الى دين ابراهيم(٤٣) ، وقوله فى ص ٨٣ من نفس الكتاب : « وليس يعنينى هنا أن يكون القرآن قد تأثر بشعر أمية بن أبى الصلت أو لا يـــكون »(٤٤) ، وقوله (فى ص ٨٥) فى الرد على المستشرق كليمان هوار وزعمـــه أن النبى قد استعان بشعر أميـــة بن أبى الصلت فى تأليف القرآن : « من ذا الذى يستطيع أن ينكر أن كثيرا من القصص كان معروفا بعضه عند اليهود وبعضه عند النصارى وبعضه عند العرب أنفسهم ، وكان من اليسير أن يعرفه النبى ﷺ ، كما كان من اليسير أن يعرفه غير النبى . ثم كان النبى وأمية متعاصرين ، فلم يكون النبى هو الذى أخذ من أميـــة ولا يكون أمية هو الذى أخـــذ من النبى ؟ » ، فان الرافعى يلمح فى هذا الكلام أن النبى ، فى نظر حسين ، هو مؤلف القرآن وهو نفس ما يفهمه من قوله (ص ١٨٢) فى تعليل مخالفته لمن يرون أن انكار الشعر الجاهلى يسىء الى القرآن ، لأن القرآن ليس بحاجة الى شواهد من الشعر على الفاظه ومعانيها عنـــد العرب : « ان أحـــدا لم ينكر عربية النبى فيما نعرف » ، فهو يرى فى الاشارة الأخيرة أن القرآن هو كلام النبى ، وقوله (فى ص ٧٢ — ٧٣) : انه يوجد « نوع آخر من تأثير الدين فى انتحـــال (يقصد : نحل)(٤٥) الشعر واضافته للجاهليين ، وهو ما يتصل بتعظيم شـــأن النبى من ناحية أسرته ونسبه فى قريش ، فلأمر ما اقتنع الناس

---

(٤٣) المرجع السابق/ص ١٤٨ .

(٤٤) المرجع السابق/ص ١٤١ ، ١٥٠ .

(٤٥) كتب المرحوم الرافعى بعد كلمة « انتحال » (كذا) . وقد لاحظت أن طه حسين فى وقت لاحق قد استبدل بهذه الكلمة الخطأ كلمة « نحل » .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أن النبى(٤٦) يجب أن يكون صفوة بنى هاشم وأن يكون بنو هاشم صفوة بنى عبد مناف ، وأن يكون بنو عبد مناف صفوة مضر ، ومضر صفوة عدنان ، وعدنان صفوة العرب ، والعرب صفوة الانسانية كلها »(٤٧) ، فالرافعى يرى أن هذا تهكم واستهزاء بالحديث الصحيح التالى : « ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم »(٤٨) . ومثل هـذا تكذيبه بوجود امرىء القيس مما يعد رفضا للحديث الصحيح الذى ورد بذكره(٤٩) ، وقوله (ص ٥٥)(٥٠) : « ان يزيد صورة صادقة لجده أبى سفيان فى السخط على الاسلام وما سنه للنـاس من سنن »(٥١) .

وبعد ، فهذا جل لا كل مارآه الرافعى رحمه الله مطعنا فى ايمان طه حسين بالاسلام وكتابه ونبيه . والحقيقة أن من الصعب تماما الدفاع عن طه حسين ، اللهم الا فى بعض النقط الفرعية التى لا تقدم ولا تؤخر فى اتهام الرافعى له ، اذ قد يمكن القول مثلا انه حينما قال انه لا يعنيه هنا ان يكون القرآن قد تأثر بشعر أمية أو لا لم يجوز الاحتمالين كما فهم الرافعى ، ولكنه قصد أن هذا

---

(٤٦) الملاحظ ان الأستاذ الرافعى عليه رحمة الله ، كان يصلى على النبى عليه الصلاة والسلام فى كل مرة ذكر فيها فى هذا النص ، مع ان الأصل خال من ذلك . وقد حذفت عبارة « صلى الله عليه وسلم » حتى لا يظن ظان انها موجودة هكذا فى الأصل فيكذب الرافعى فيما قاله من أن طه حسين لم يشفع اسم النبى مرة واحدة ولا بحرف (ص) .

(٤٧) تحت راية القرآن/ص ١٩٤ .

(٤٨) الموضع السابق .

(٤٩) تحت راية القرآن/ص ١٩٧ .

(٥٠) ص ٥٥ ، وقد لاحظت أن الرافعى قد روى كلام طه حسين هنا بالمعنى . أما نص الكلام فهو : « واما يزيد فقد كان صورة لجده أبى سفيان ، كان رجلا عصبية وقوة وفتك وسخط على الاسلام وما سنه للناس من سنن » .

(٥١) تحت راية القرآن/ص ٢١١ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ليس موضع الرد على رأى كليمان هوار ولا أوانه ، لأنه مشغول فقط ببحثه فى الشعر الجاهلى ، وان كان هـذا فى الحقيقة لونا من التأويل المتعسف لكلامه . كما قد يمكن القول أن حكمه على ابى سفيان مثلا انما هو رأى اجتهد فيه ، ومهما يكن قد اخطأ فيه فان احسان القـول فى ابى سفيان ليس من دعائم الاسلام ، أو ان طه حسين اذا كان يرفض الحديث الشريف الذى ينص على افضلية الرسول واسلافه فلأنه يراه غير صحيح رغم وروده فى كتب الصحاح . ثم قد يقول المجادلون ان النبى عليه الصلاة والسلام لا يضره أن يكون أسلافه أو لا يكونوا افضل البشر وهكذا . وقد نقبل جدلا كلامه فى عميد الأمويين ، ولكن هل من السهل أن تخفى علينا نبرة التهكم فى تناوله الحديث الذى يؤكد افضلية الرسول على جميع البشر ؟ وهل يليق بمسلم أن تكون هذه نظرته الى الرجل الذى يؤمن بنبوته وما يعنى اصطفاء الله له للقيام بهذه الرسالة العظيمة التى لا يجتبى لها الا الأفذاذ الأخيار من البشر ؟

أيا ما يكن الأمر فما القـول فى رأيه ان على من يريد دراسـة الأدب العربى أن يتجرد من دينه ؟ ان هذا معناه شىء واحـد هو أن الدين يناقض البحث العلمى ، فكيف يجمع طه حسين بين الايمان بالاسلام والايمان بمنهج البحث العلمى وهو يرى انهما متناقضان ؟ ان عليه أن يختار واحـدا منهما مادام الأمر كذلك ، لأن من المستحيل ، الا على ذى عقل مضطرب أو مريض بانفصام فى شخصيته ، أن يجمع بينهما .

ان طه حسين يعلن انه فى شكه فى الشعر الجاهلى انما يجـرى على منهج ديكارت . فكيف اذن تجاهل أحد القوانين الفطرية التى رأى ديكارت انها تعلو على كل شك ، الا وهو « قانون عدم التناقض » ، الذى بمقتضاه لا يمكن أن « يكون » الشىء « ولا يكون » فى الوقت نفسـه ، بل اما أن «يكون» فقط أو « لا يكون » ؟ ان تطبيق هذا القانون على النقطة التى نحن بصددها يستلزم أن يؤمن طـه حسين اما بالدين أو بالمنهج العـلمى مادام فى رأيه متعارضين (٥٢) .

---

(٥٢) انظر مادة Descartes (وبالذات ص/٨٥) من A Dictionary of Philosophy لمؤلفه Antony Flew

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أما قول طه حسين ان في كل منا شخصيتين متمايزتين : احداهما عاقلة تبحث وتنقد وتحلل ، وتغير اليوم ما ذهبت اليه أمس ، والأخرى شاعرة تلذ وتألم وتفرح وتحزن وترضى وتغضب في غير نقد ولا بحث ولا تحليل ، وتساؤله : ما الذى يمنع أن تكون الشخصية الأولى عالمة باحثة ناقدة ، وان تكون الثانية مؤمنة ديانة مطمئنة طامحة الى المثل الأعلى ؟ مالك لا تدع للعلم حركته وتغيره ، وللدين ثباته واستقراره ؟ (٥٣) فهو مغالطات بهلوانية : فاولا ، اذا كان هو يعتقد أن الدين يتميز بالثبات والاستقرار فكيف يطالب الباحث باطراحه والتجرد عنه اثناء بحثه ؟ لقد كان أحرى به أن يعرف اذن ان بحث الأدب العربى لا يدخل في نطاق الدين ، ومن ثم فلم تكن به حاجة (لو كان فعلا يعنى كلامه هذا الأخير) الى دعوته المريبة تلك . وثانيا ، أنا لا أفهم العلاقة بين الرضا والغضب واللذة والألم والفرح والحزن وبين الايمان . ان الايمان هو اقتناع بعقيدة وتشريع ما ، والاقتناع من شأن العقل لا من شأن المشاعر ، التى كما يصورها هو نفسه لا تستقر على حال ، مع انه قال ان الدين يتميز بالثبات والاستقرار . ان الاسلام هو دين العقل لا التسليم القلبى دونما فهم أو بحث أو اقتناع ، على عكس الأديان الأخرى ، التى يقع المؤمن بها فريسة للصراع بين عقله وعلمه وبين ايمانه وتسليمه ، هذا الصراع الذى يظل يؤرقه ولو فى أعماق نفسه اذا حاول ان يكبته هناك فى تلك الأعماق المظلمة بعيدا عن وعيه ، أو يدفعه في نهاية الأمر الى الكفر .

من هنا يرى الرافعى ان مقال طه حسين الذى اقتطف منه الرافعى ما سبق (وكان طه حسين قد نشره في « السياسة » تسويغا لموقفه وآرائه التى بثها فى كتاب « فى الشعر الجاهلى ») انما هو تفسير وتعليل لكفره بحجة العلم ، اذ « يريد أن يثبت فيه أنه من الممكن ان يكون مثله كافرا اشد الكفر على اعتبار أنه عالم يبحث بعقله ، ثم لا يمنع ذلك أن يكون مؤمنا اقوى الايمان في شعوره »(٥٤) ، كما يرى أن تسمية الشعور شخصية والعقل شخصية

---

(٥٣) انظر تحت راية القرآن/ص ٣٤٩ — ٣٥٠ .
(٥٤) المرجع السابق/ص ٣٥٠ — ٣٥١ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أخرى معناه أن النسيان هو ايضا شخصية والذكر شخصية ، والانسان عدة شخصيات ، وانه حين ينتقل من حالة الى أخرى انما ينتقل من شخصية الى غيرها ويصبح رجلا غير الذي كان ، بل يصبح كأن روحا تقمصته(٥٥) .. وكذلك يرى انه لابد من التوفيق بين الدين والعلم فيما يختلفان عليه ، والا كان احدهما لغوا وعبثا (ص ٣٥٤) ، وهو ما قلناه من قبل . لقد كان على طه حسين ، بدلا من اللف والدوران ،أن يحدد موقفه من الدين . وهو مافعله فى نفس المقالة التى نحن بصددها ، اذ قال : « ان العالم ينظر الى الدين كما ينظر الى اللغة ، وكما ينظر الى الفقه ، وكما ينظر الى اللباس ، من حيث أن هذه الاشياء كلها ظواهر اجتماعية يحدثها وجود الجماعة وتقع الجماعة فى تطورها . واذن فالدين فى نظر العلم الحديث ظاهرة كغيره من الظواهر الاجتماعية ، لم ينزل من السماء ولم يهبط به الوحى ، وانما خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها ، وان رأى دوركيم أن الجماعة تعبد نفسها ، أو بعبارة أدق أنها تؤله نفسها »(٥٦) .

بهذا يكون موقف طه حسين واضحا ، فهو لا يؤمن بالاسلام ، ان آمن به ، على انه دين سماوى أوحاه الله الى نبيه محمد ، بل على انه اختراع بشرى . واذن الرافعى لم يكن متجنيا عليه قيد شعره حين رماه بالكفر والالحاد . (واحب أن ابادر هنا الى القول اننى لا اريد بهذا أن اسب طه حسين ، بل انى فقط ابحث الأمر بحثا علميا) . واذن ايضا فان طه حسين حين اعلن من قبل فى الخطاب الذى ارسله ، على اثر الهجوم عليه بسبب كتابه ، الى مدير الجامعة احمد لطفى السيد(٥٧) انه مسلم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لم يكن يعنى ما يقول(٥٨) ، فان الانسان لا يمكنه ابدا أن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله

---

(٥٥) المرجع السابق/ص ٣٥١ .

(٥٦) المرجع السابق/ص ٣٤٨ — ٣٤٩ .

(٥٧) لفت نظرى أن اسلوب هذا الخطاب يختلف عن اسلوب طه حسين كما نعرفه ، فهل كتبه له لطفى السيد مثلا ؟ انه به اشبه .

(٥٨) انظر تحت راية القرآن/ص ١٦٥ .

واليوم الآخر وهو فى ذات الوقت لا يؤمن بوحى ولا بإله ، مادامت الجماعة انما تؤله نفسها وتعبد ذاتها فى الحقيقة ، وما دام الدين لم ينزل من السماء وانما نبع من الأرض اختراعا بشريا(٥٩) .

أما قوله انه لم يتعمد فى كتابه الخروج على الدين فهو خداع لا يجوز على العقول ، لأنه اذا لم يكن وصف بعض قصص القرآن بأنها أساطير مخترعة لغايات سياسية والقول بأن المسلمين هم الذين ردوا الاسلام فى خلاصته الى دين ابراهيم وغير ذلك مما سبق أن أوردناه هو الخروج على الدين فانه لا يوجد اذن شىء اسمه الخروج على الدين .

أما تأكيد طه حسين فى الخطاب الذى أرسله الى مدير الجامعة بأن دروسه فى الجامعة خلت خلوا تاما من التعرض للديانات ، « لأنى أعرف ان الجامعة لم تنشأ لمثل هذا » ، فاننا قد سبق أن قلنا اننا ليس تحت أيدينا

---

(٥٩) الغريب أن الأستاذ سامى الكيالى ، الذى رمى من اتهموا طه حسين بسبب ما ورد فى كتابه « فى الشعر الجاهلى » فى دينه بالرجعية والجمود هو نفسه الذى طبع ونشر لاسماعيل ادهم بحثا بعنوان « طه حسين — دراسة وتحليل » (ط. مجلة الحديث/حلب/١٩٣٨) . وفى هذا البحث يمدح أدهم طه حسين واصفا اياه بالالحاد والثورة على الدين ، ويشير الى رأيه هذا فى الدين . والغريب كذلك أن هذا البحث قد نشر أيضا فى عدد من مجلة « الحديث » التى كان يملكها سامى الكيالى ، وكان ذلك فى نفس العام (عدد نيسان = ابريل) ، ولكن حذفت منه العبارات التى تتحدث عن الحاد طه حسين وثورته على الدين ونظرته اليه كنتاج بشرى ، ووضع مكانها نقط . ان هذا يبين حقيقة موقف ذلك الصحفى السورى واننا ينبغى ألا يخدعنا كلامه ، والا فكيف يكون وصف طه حسين بالالحاد من جانب اسماعيل أدهم جميلا ووصفه بذلك من شيوخ الأزهر وعلماء مصر رجعية وتزمتا ؟ كذلك من اللافت للنظر ان الكيالى لم يورد مما قاله طه حسين فى حق القرآن الا جملة واحدة ، وباليته أوردها كما هى ، فقد حرفها بما أذهب شناعتها،وقال انه قالها على سبيل الاستطراد . فتأمل مدى الأمانة العلمية ! انظر كتابه « مع طه حسين » ج/٢١ ص ٥٦ وما بعدها .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ما يثبت أو ينفى ذلك . ولكن السؤال الذى يلح على الذهن هو أنه اذا كان لم يتعرض للأديان فى محاضراته والكتاب مملوء بالتعرض للأديان ، والاسلام بالذات ، فما الذى كان يقوله فى محاضراته ؟ على أن الدكتور طه حسين عاد فأدلى لصحيفة « الأنفوروماسيون » بالآتى : « قيل لهؤلاء البسطاء : انى أطعن فى الاسلام ، فشهروا الحرب على جميعا . على أنى أقول عاليا انه ليس فى كتابى كلمة يمكن أن تؤول ضد الدين . والعبارة الوحيدة التى يمكن أن أنتقد من أجلها تضع النصوص المقدسة بعيدة عن قسوة المباحث التاريخية »(٦٠) . وهو كلام لا ظل له من الحقيقة كما بينا . وقد دفعت هذه المخادعة الأستاذ الرافعى لتكذيبه ووصفه بعدم الحياء والعناد والمكابرة والكذب والسخرية بعقل الأمة(٦١) .

---

(٦٠) تحت راية القرآن/ص ٢٤٢ .

(٦١) المرجع السابق/ص ٢٤٣ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

اتهام الرافعى لطه حسين فى عقيدته

وبعد أن فرغنا من مناقشة ما قاله الرافعى فى آراء طه حسين ننتقل الى تحليل ما قاله فيه هو نفسه . وقد ذكرنا انه سماه « المبشر » ، وكناه « أبا مرجريت » و « أبا البرت » ، وقال ان سلطان زوجته عليه شديد . والحقيقة أن هذه الاتهامات ، برغم عدم تفصيل الرافعى القول فيها ، تشير من بعيد الى ماذكره كاتب (سكرتير) طه حسين بعد ذلك بعشرات السنين ، وهو فريد شحاتة النصرانى (أقول : « النصرانى حتى لا يتهم مثلما اتهم الرافعى وغيره بالرجعية والجمود) ، اذ كتب أن طه حسين قد تعمد لاعتناق النصرانية فى شبابه عند زواجه من زوجته الفرنسية وكان ذلك فى كنيسة احدى القرى الفرنسية (٦٢) .

والحقيقة اننا جريا على المنهج الصارم الذى نتبعه فى كتاباتنا لا نستطيع أن نجزم جزما قاطعا بأن هذا قد حدث ، فانه ليس بين أيدينا وثيقة مقطوع بصحتها تشهد على ما قاله كاتب طه حسين ، الذى عاشره فى بيته وخارج بيته عشرات السنين واطلع منه على مالم يطلع عليه سواه ، وان كان هذا لا يمنع أن تظهر مثل هذه الوثيقة يوما ان صحت رواية الرجل . كذلك فان فريد شحاتة بالطبع لم يكن حاضرا طقوس التعميد الذى يشير اليه ، فلم يكن فريد قد عرف الدكتور طه حسين بعد آنذاك ، وان كان الحق يقتضى أن اذكر أن فريد هذا كان لصيقا بقلب الدكتور طه حسين قبل أن يتركه ، كما كان موضع اسراره الخطيرة لعشرات من السنين (ويمكن الرجوع فى ذلك الى الحوار الذى أجراه محمد شلبى معه حول الدكتور طه حسين فى كتابه « مع

---

(٦٢) انظر مقال أحمد حسين « العودة لطه حسين مفخرة مصر » / الثقافة/العدد ٧٤/نوفمبر ١٩٧٩/ص ٤ ، وكذلك مقاله بعنوان « لقد حسمت القضية وتحدد موقف طه حسين فى تاريخ مصر »/الثقافة/العدد ٧٧/فبراير ١٩٨٠/ص ٨ — ٩ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رواد الفكر والفن » وبخاصة ص/ ١٣٢) .ومع ذلك فهناك عدة ملاحظات لها دلالتها : فزوجة طه حسين ، على رغم أنها لم تترك شيئا فى حياة طه حسين الا ذكرته فى كتابها الذى وضعته بعد وفاته عن حياتها معه ، ورغم حرصها على أن تدافع عنه هجوم من هاجموه ، حتى فى الأمور التى لا تحسنها كقضية الشعر الجاهلى مثلا ، لم تفتح فمها بكلمة واحدة تدفع به عنه هذا الاتهام ، مع أنها هى الوحيدة المتبقية (فيما اظن) ممن كانوا حاضرين هذا التعميد المشار اليه ، بل هى السبب فيه (ان كان قد حدث) ، باعتبار أن هذا كان شرطا لزواجه منها ، فما معنى عدم نفيها هـذا لما قاله واحد من اقرب المقربين الى زوجها واليها ؟ ترى لو كان هذا اتهاما باطلا أكانت ستسكت عليه مهما كان تدينها وحبها لنصرانيتها ورغبتها فى أن تتكثر لدينها من الأتباع والمتحولين اليه من الديانات الأخرى ؟ ولكن لم لم تحاول ان تنفى هذه الدعوى بالباطل ، لو صح انها حقيقة ؟ أيمكن ان نقول انها خافت أن تكذبها سجلات تلك الكنيسة التى قال فريد شحاتة ان عميد الأدب العربى قد تم تعميده فهيا حينما يعن يوما لأحد الباحثين المهتمين بهذا الموضوع أن يطلع عليها او ترى الدوائر المعنية فى فرنسا أن تخرج هـذه الوثيقة ، ان كان لها وجود ، وتذيعها على الناس عندما تقدر انه قد حان الأوان لكشفها من أجل هذا الغرض او ذاك ؟ تلك اسئلة لا يستطيع الباحث فى الظروف الحـالية ان يجيب عليهـا اجـابة علمية قاطعـة تشـفى الغليـل ، ولا يملك الا أن يقول : فلننتظر !

على أن الباحث مع ذلك لا يمكنه أن يمر مرور الكرام على الحقائق التالية : أن زوجة طه حسين لم تكن تحبه حين قبلته زوجا . وليس هـذا تخمينا منا ، فقـد ذكرت هى هـذا ذكرا صريحـا فى أكثر من موضـع فى كتابها(٦٣) ، كما ذكر د. طه حسين قبلها ذلك بنفسه(٦٤) ، وان الذى حثها

---

(٦٣) انظر سوزان طه حسين/معك/ص ١٠ ، ١٦ .

(٦٤) الأيام ج/٣ ص ١٠٨ وما بعدها و ١١٨ ، وانظر أيضـا مقـال أحمد حسين « لقد حسمت القضية وتحدد موقف طه حسين فى تاريخ مصر » / فى « الثقافة » / عدد فبراير ١٩٨٠/ص ٩ — ١٠ ، وسامى الكيالى / مع طه حسين ج/١ ص/٢٩ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

على الأقل شجعها على الزواج منه هو عمها القسيس الكاثوليكى(٦٥) الذى كان طه حسين يقول عنه دائما انه أحب رجل الى نفسه ، والذى كان يرى فيه مثله الأعلى ودليله فى الحياة) (٦٦) ومتى ؟ فى الربع الأول من هذا القرن حين كان المد الاستعمارى لبلاد المسلمين ولمصر فى أوجه ، ونظرة الأوربيين لنا على أننا شعوب من الهمج على أشدها ، وكراهيتهم لنا بوصفنا مسلمين فى قمتها . أليس غريبا أن يجهد قسيس كاثوليكى فرنسى فى العقد الثانى من هذا القرن جهده فى اتمام زواج ابنة أخيه من شاب مسلم (يعنى « كافر » من وجهة نظره) ، وترضى ابنة الأخ بهذا الشاب الذى لم يكن يتمتع بما تصبو اليه الفتيات عادة من غنى أو منزلة اجتماعية عالية أو وسامة او اناقة ، ودعنا من أنه كان كفيفا وكانت فرنسيته بالطبع فى ذلك الوقت مكسرة بحيث كان من الصعب عليه ، حتى لو كان من أمهر الغزلين ، أن يستميل قلبها بالكلام الخيالى المنمق . كذلك فمن المهم أن نلاحظ أنها هى نفسها كانت ولا تزال شديدة التمسك بنصرانيتها ، أى أن افتراض لامبالاتها بكونها نصرانية وكونه مسلما (أى « كافرا » من وجهة نظرها) هو افتراض غير مقبول . وثمة أمر آخر أرى أن له مغزاه : فقد ذكر طه حسين أنه حينما أتاه خطاب سوزان من قريتها فى الجنوب الفرنسى (هذا الخطاب الذى كان علامة بينهما على أنها رجعت عن رأيها فى عدم امكانها الزواج منه لأنها لا تحبه) سافر وحده الى هناك ، ولم يستمع لزملائه المصريين الذين صدوه عن الذهاب اشفاقا عليه(٦٧) . يعنى أنه حين أعلنت خطبته على سوزان ، بل أثناء أشهر ذلك الصيف كله ، كان طه حسين وحده بين تلك الأسرة الفرنسية الكاثوليكية وفيها ذلك العم القسيس الذى عضد هذا الزواج (بل أغلب الظن أنه كان وراء تغيير ابنة أخيه موقفها فى مدى

---

(٦٥) انظر « معك » /ص ١٧ ، وسامى الكيالى / مع طه حسين ج/١ ص/٢٩ (نقلا عن روبير لاندرى الكاتب الفرنسى) .

(٦٦) معك / ص ١٧ .

(٦٧) الأيام / ج ٣ / ص ١١٢ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

شهر !) . ويحاول زملاؤه ان يصدوه مشفقين عليه ، ولـكنه يصر على موقفه . وقد كان له ما اراد ، فلم يحضر معه مصرى ولا مسلم هذه الخطبة . اليس لهذه الوقائع دلالتها الخطيرة ؟ وتشير زوجة طه حسين الى أن عمها القسيس ، الذى كان متحمسا لزواجهـا به على رغم نفورهـا منه ، قد اصطحب طه حسين ، حين زارهم فى قريتهم فى الجنوب الفرنسى ، ساعتين تجولا أثناءهما فى الحقول وحـدهما . بيد أنها لم تذكر لنا فيم تحـدثا ، ولا ما الذى اخذه عليه العم القسيس من عهود قبل أن يعطيه ابنة اخيه . من هنا فاننا من الوجهة التاريخية الموثقة نجد أنفسنا كلما اقتربنا من هذه المسألة نصطدم بالصمت . فأى نوع من الصمت هذا ؟ حتى الصحفى سامح كريم ، الذى ينقل ما كتبه الآخرون عن طه حسين ، عندما أتى الى هذه النقطة اخذ يحوم حولها من غير أن يسميها ، مكتفيا بالحـديث عن فريد شحـاتة ومذكراته عن عمله مع طه حسين وغيظ هذا منه ووصفه اياه بـ « هـذا الشىء الذى أسميه فريد شحاتة » ، كل ذلك من غير أن يعـرف القارىء الخالى الذهن علام يدور الكلام . وهو ما يجافى أمانة النقل (٦٧) .

كذلك فان من الملاحظات الدالة المتصلة بتكنية الرافعى للدكتور طه حسين « أبا مرجريت » و « وأبا البرت » أننى لا أذكر انى قرأت فى كتاب «معك» للسيدة سوزان ما يشير قط الى انه كان يوجـه أولاده توجيها اسـلاميا . ولا اظن أن من السهل الجواب على ذلك بأنها كنصرانية لا يهمها أن تشير الى ذلك ، فان هذه الملاحظة تصدق ايضا على كتاب « الأيام » ، الذى كتبه هو وأفاض القول فيه عن كل شىء يتعلق به وبحياته .

ولعله يكون من المناسب هنا ان نشير الى أن والدة طه حسين ، عندما اخذ طه زوجته الى كوم امبو ، بعد عودته من فرنسا ، للتعرف على اسرته هناك ، قد سألته اى نوع من النبيذ يجب شراؤه من اجلها(٦٩) ؟ فاذا كان

---

(٦٨) انظر فى رحلة الحقول هذه «معك» ص/١٧ ، وبالنسبة لصمت سامح كريم عن الاتهام المذكور انظر « ماذا يبقى من طه حسين » /ص ١٢٤ — ١٢٥ .

(٦٩) معك/ص ٣١ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا هو موقف والدته من أم الكبائر وهى سيدة صعيدية عجوز غير متعلمة وفوق ذلك طبعا مسلمة ، ومتى ؟ فى الربع الأول من القرن العشرين ، وكل ذلك من أجل خاطر العروس الوافدة (لاحظ ان كل ظروف والدة الدكتور طه حسين كان من شأنها أن تدفعها الى الفزع الشديد من مجرد تصور دخول الخمر بيتها) ألا يساعدنا هذا فى تخيل موقف طه حسين من أمر ذلك الزواج كله والضريبة التى كان عليه أن يدفعها فى مقابله وهو الذى كان مدلها اشد التدله بهذا الزواج ، وفوق ذلك كان معجبا اشد الاعجاب بالحضارة الأوربية واتصل بها فى بلادها اتصالا حميما ؟

ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، فان المعروف أن طه حسين كان يختار سكرتيريه من النصارى ، فهل ينبغى أن نمر بهذه الحقيقة أيضا دون أن نلتفت الى مغزاها ؟ لقد اشتغل توفيق شحاتة كاتبا وقارئا له ، ثم خلفه أخوه فريد ، الى ذكر أن طه حسين قد تنصر قبل زواجه من سوزان زوجته ، التى لم تكن تحبه وكانت ترفض بفظاظة أن تسمع منه كلمة « الحب » أو أن يتحدث معها مجرد حديث فى موضوع الزواج أن أراد لزمالتهما وصداقتهما أن تستمر ، والتى غيرت رأيها فجأة بعد أن بصرها عمها بمزايا الزواج من هذا الشاب الذى أطراه لها مؤكدا أنه سيتجاوزها باستمرار(٧٠) . وان الباحث ليتساءل : يتجاوزها فى ماذا ؟ وهناك غير الأخوين شحاتة سكرتيران آخران على شاكلتهم ، وهما البيربرزان (أول سكرتيريه) وسليم بشارة (آخرهم ، فيما أعرف) ، وان كان هناك دكتور ازهرى قدر له أن يشتغل مع طه حسين فترة من الوقت فلفت انتباهه أن اسلوب حياته يجرى على غير المعهود فى البيوت المسلمة(٧١) .

---

(٧٠) انظر فى هذه النقطة الأخيرة سامى الكيالى/مع طه حسين ج/١ ص ٢٨ — ٢٩ ، و « معك » لسوزان طه حسين/ص ١٧ .

(٧١) ذكر هذا د. زكريا البرى فى مقالة له بعنوان « الشيخ والأستاذ والدكتور والامام » /جريدة « النور » العدد/٢٤٠/١١ صفر ١٤٠٧هـ (١٥ أكتوبر ١٩٨٦) .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والآن بعد أن رأينا هذه المسألة من كل جوانبها المتاحة فاننا نتساءل : هل نما الى الرافعى فى ذلك الوقت المبكر ما قاله فريد شحاتة بعد ذلك ؟ ولكن لماذا لم يذكر ذلك صراحة وهو الذى لم يكن يبالى ؟ بيد أن الملاحظ انه لم يجمجم فى تسميته بـ « المبشر طه حسين » وتكنيته « أبا مرجـريت » و «أبا البرت» ، فهل بلغه ذلك الأمر او شىء منه ولكنه ، لسبب أو لآخر ، لم يذكره ؟ ان كان الجواب بالاثبات فمن ذا الذى بلغه يا ترى ؟ ان د. نجيب البهبيتى يتحدث فى مقدمة كتاب له صدر حديثا (المدخل الى دراسة التاريخ والأدب العربيين ؟) عن اسرار اخرى تتعلق بأسرة سـوزان وعملها فى باريس ... الخ ، وهى اسرار ان كانت جديدة علينا نحن الآن فلا شك أن مبعوثى مصر فى باريس فى ذلك الوقت كانوا يعرفونها ، فهل نقل الى الرافعى سر تعميد طه حسين ، هـذا السر الذى لا نستطيع من الوجهة التاريخية الموثقة أن نجزم به ، واحد من هؤلاء المبعوثين ؟ الجواب طبعا : لا نعرف .

ومما قاله الرافعى رحمه الله فى د. طه حسين اتهامه اياه كما رأينا بأنه اداة أوربية استعمارية . ويتصل بهذا انه ينقل ، فى كتابه « تحت راية القرآن » ، ما كتبته مجلة « الفتح » بعد شهرين من نشره مقالته « عصبية طه على الاسلام » ، وهى احدى مقالاته التى انتقـد فيها كتاب « فى الشـعر الجاهلى » ومؤلفه . ونص ما قالته « الفتح » هو : « ليقل لنا طه حسين كم يتقاضى من رجال التبشير ، أو بعبارة أدق : من رجال الدول الغربية من أجرعلى دعايته تلك لهم وعمله لصالحهم وجهاده من أجلهم هذا الجهاد الطويل العنيف الذى لا يرهب فيه أمة بأسرها . ان ذلك الأجر لابد أن يكون عظيما جداً كما يتحدث به الناس فى انديتهم »(٧٢) ، كما سمى فرنسا وطن طه حسين الجـديد(٧٣) . والواقع أن الباحث الذى يريد ان يحقق هـذه المسألة يجد نفسه أمام عدة حقائق لا يستطيع ، اذا كان باحثا أمينا ، أن

---

(٧٢) تحت راية القرآن/ص ١٩٥ — ١٩٦ .
(٧٣) المرجع السابق/ص ٣٧٠ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يغفلها . وهذه الحقائق ، وكلها مستمدة مما كتبته زوجة طه حسين وطه حسين نفسه ، هى : علاقة طه حسين الحميمة الى حد مذهل بالأساتذة الأجانب فى الجامعة ، حتى انهم كانوا يجتمعون فى بيته كل اسبوع مرة ، وذلك يوم الأحد (لاحظ !) . ومن هؤلاء الأساتذة الأجانب جريجوار وامين برهييه وجريدوروسكايف ولالاند وسانياك(٧٤) . كما انه هو الذى استقدم كازانوفا للتدريس فى الجامعة ، مع أن طه حسين كان لا يزال فى أول درجاته الجامعية حينذاك ، فمن أين له هذا الثقل الوظيفى والادارى فى الجامعة ؟ ومن الذى كان يقف وراءه ؟ ان هذا الأستاذ كان هو المشرف على رسالة طه حسين فى باريس ، وعندما اتى الى القاهرة كان طه حسين يزوره فى كل يوم(٧٥) .ومن لا يعرف هذا المستشرق نحيله فقط الى كتابه « محمد وانتهاء العالم فى عقيدة الاسلام الأصلية » ليعرف آراءه السوداء فى الاسلام ونبيه ، الذى يتهمه بتلفيق القرآن ويتهم أصحابه بالعبث بنصه. عندما اتضح أن ما قاله الرسول عليه السلام عن قرب قيام الساعة كان محض هراء ، فكان لابد ، فى زعمه ، من زيادة بعض النصوص التى تمحو أثر هذه النبوءة الكاذبة . وقد حزن طه حسين لوفاته حزنا شديدا »(٧٦) . واشار الى ذلك المرحوم الرافعى بقوله انه حين هلك كان طه حسين هو « نادبته » فى مصر(٧٧) . أما مرجليوث فان طه حسين عندما ذهب الى اكسفورد لحضور مؤتمر المستشرقين هناك (سنة ١٩٢٨) قد نزل هو وأسرته ضيفا عليه ، وقامت زوجته برعاية طفله المريض(٧٨) . لقد عاش كاتب هذه السطور عدة سنين فى اكسفورد ، التى كان طالبا فى جامعتها يدرس للحصول على درجة

---

(٧٤) انظر « معك »/ص ٧٤ — ٧٥ .

(٧٥) السابق/ص ٧٦ ، وانظر الأيام/ج ٣/ص ١٢١ ، وكذلك كتاب سامح كريم/ص ٧٦ .

(٧٧) تحت راية القرآن/ص ٢٧٥ ، كما وصفه بحق بأنه « كذبنوفا »/ ص ٢٩٤ .

(٧٨) معك/ص ٩١ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الدكتوراه ، ويعرف جيدا كراهية الأساتذة في هذه الجامعة ذات الأصل الديني لكل ما هو مسلم واسلامي . ومرجليوث هذا بالذات من اشد المستشرقين بغضا للاسلام وكتابه ونبيه . انه من هذه الناحية يأتي هو ولا مانس في المقدمة . ومن يرغب في أن يأخذ فكرة عن هذه البغض القتال فليرجع فقط الى كتابه « محمد وظهور الاسلام » ، الذي يأخذ فيه جانب وثنيي مكة في كل موقف حتى في تعذيبهم للمسلمين ، ويأخذ دائما جانب اليهود ، الذين تآمروا على قتل نبينا وارادوا ان يدمروا الاسلام تدميرا نهائيا ، والذين حمل عليهم مرجليوث حملة شعواء لانهم لم يحكموا امرهم جيدا ويتعاونوا على رسولنا ويتخلصوا منه بدلا من تخلصه هو منهم . لقد وصف هذا الرجل الوقح نبينا عليه افضل الصلاة والسلام بأنه « شيخ منسر - a robber chief »(٧٩) ، وكان يرى أنه ينبغي الا نعير اقواله عليه السلام كبير ثقة(٨٠) . كما قال عن ابي عامر الراهب ، هذا العميل البيزنطي الحاقد على رسوله الله ﷺ وعلى نجاح دينه والذي بنى له المنافقون مسجدا في أحد اطراف المدينة بعيدا عن عيون المسلمين المخلصين ليلتقوا به فيه لحبك المؤامرات ضد الاسلام ونبيه وأتباعه (٨١) ، انه كان عنده قبل هجرة الرسول الى يثرب ميل الى الاصلاح الديني ، بيد أن القليل الذي خبره من محمد بعد هجرته الى هذه المدينة قد اقنعه بأفضلية الوثنية(٨٢) . وغير ذلك مما يعج به الكتاب من اقوال شنيعة لا تحترم حقائق التاريخ ولا تلقي وزنا للقيم الانسانية النبيلة التي ارساها محمد عليه الصلاة والسلام وكان احسن من استمسك بها .

وممن كانت له علاقة حميمة بالدكتور طه حسين المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون ، الذي كان يبدي اهتماما شديدا به في ازماته التي كان

---

(٧٩) ص ٢٣٨ Mohammed and the rise of Islam وهذا الكتاب يتضمن بذرة رأي مرجليوث في الشعر الجاهلي ، وذلك في ص ٦٠ ؛ مما سنعود اليه بعد ذلك .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يثيرها،والذى عرض عليه ذات مرة وظيفة فى الولايات المتحدة الأمريكية(٨٣) ، وكان شديد الاحتفاء بابنه مؤنس أثناء دراسته بباريس ، اذ كان يأخذه بعد خروجهما من محاضراته التى كان يحضرها مؤنس ، فيمشيان معا ، ويستعلم منه « باهتمام ودى عن كل ما يقوم به طه من عمل او يخطط للقيام به »(٨٤) . وماسينيون هذا من أعمدة الاستعمار الفرنسى فى الشرق الاسلامى العربى . وقد تحدث عن دوره هذا الصحفى اللبنانى (النصرانى) اسكندر الرياشى فى كتابه « رؤساء لبنان » ، فليراجعه من يشاء . واننا لنتساءل : ما سر هذا الاهتمام الزائد من جانب ماسينيون الاستعمارى وأمثاله بطه حسين ؟ لعل ما يلقى بصيصا من الضوء على جواب هذا السؤال أن طه حسين كان يشتغل أثناء الحرب العالمية الثانية مراقبا لاذاعة فرنسا الحرة التى كانت تبث برامجها من دار الاذاعة المصرية . كما أنه قد استقبل الجنرال ديجول حين مجيئه الى القاهرة فى ابريل ١٩٤١(٨٥) .

وعن صداقته الحميمة لبلاشير يمكنك أن ترجع الى ما كتبته السيدة زوجته(٨٦) . وبلاشير هذا هو الذى عبث بآيات القرآن تقطيعا وتقديما وتأخيرا ، وبلغت به الجرأة أن خطأ القرآن نحويا وأسلوبيا مرات كثيرة ، وتعمد تشويه كتابنا المقدس بتفسيرات لا يمكن أن تخطر الا فى خيال مريض يهذى ، كقوله مثلا (مع كايتانى وشبرنجر) ان « جنة المأوى » هى فيلا بضواحى مكة وان سدرة المنتهى » شجرة هناك .

---

(٨٠) السابق/ص ٢٦٣ .

(٨١) انظر فى سيرة هذا الرجل ورفض ابنه له كتابنا « مصدر القرآن — دراسة فى الاعجاز النفسى »/ص ١٠٠ — ١٠١ .

(٨٢) انظر كتاب مرجليوث السالف الذكر/ص ٢٩٠ — ٢٩١ .

(٨٣) معك/ص ١٠١ .

(٨٤) معك/ص ٢٥٣ — ٢٥٤ .

(٨٥) السابق/ص ١٣٩ .

(٨٦) السابق/ص ٢٥٦ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن اهتمام المستشرقين والدوائر العلمية الأوربية بطه حسين أن نلينو مثلا فى مؤتمر المستشرقين الذى انعقد بايطالية أثناء الحكم الفاشى قد تنازل له عن رئاسة القسم الذى كان يراسه ، وهو ، كما تقول زوجة طه حسين ، مالم يحدث قط(٨٨) ، وان الدكتوراهات الفخرية قد أغدقت عليه اغداقا من الجامعات الأوربية على اختلافها(٨٩) . ان الصحفى السورى سامى الكيالى المعجب بطه حسين وباتجاهه الدائم الى قبلة أوربا اعجابا أعمى يشير بفخر الى هذا الاهتمام الزائد من جانب الجامعات الأوربية بطه حسين(٩٠) ، مع أن هذا الاهتمام هو دليل على أن الرافعى لم يكن يلقى الكلام على عواهنه حينما وصفه بأنه أداة أوربية ، والا فما هذا الاحتفاء الغريب المريب بطه حسين من دون المفكرين والأدباء العرب الذين كانوا معاصرين له ؟ أعقمت بلاد المسلمين والعرب ومصر فلم تلد الا طه حسين ؟ ان هؤلاء المحتفين بطه حسين هم أنفسهم الذين يبغضوننا ويبغضون ديننا ولغتنا ، وهم الذين استعمرونا واذاقونا كأس المذلة مترعة ونهبوا بلادنا وقتلوا آباءنا ، واقتطعوا من جسدنا وروحنا فلسطين واعطوها لليهود ،

---

(٨٧) نظر Le Coran ترجمة بلاشير/ص ٥٦٠ — ٥٦١ هـ/١٤،١٥ . وانظر فى هذا الموضوع دراستنا المفصلة عن ترجمته للقرآن الى الفرنسية ، وذلك فى كتابنا « المستشرقون والقرآن » / ص/٧١ — ١١٧ . ومن المضحك ، بالمناسبة ، ان يبلغ التحمس أحد القسس المصريين ، وهو كمال ثابت قلته (فى رسالته للماجستير عن طه حسين)،أن يهاجم ، وهو رجل الدين النصرانى، شيوخ الأزهر ويتهمهم بالرجعية واصما اياهم بأنهم لم يفهموا الاسلام كما فهمه طه حسين . الحمد لله الذى جعل هذه القس يفهم الاسلام ويقوم بدور القاضى بين مشايخ الأزهر وطه حسين ، ويصدر هذا الحكم المهذب العادل . أنظر كتابه « طه حسين واثر الثقافة الفرنسية فى أدبه » ص/٩٠ — ٩٢ .

(٨٨) معك/١٢٣ .

(٨٩) انظر مثلا ص ١٦٢ ، ١٧٢ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ٢٥١ من كتاب « معك » للسيدة زوجته .

(٩٠) مع طه حسين/ج ١/ص ١٢٣ — ١٢٤ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الذين ساعدهم طه حسين على النجـاة بجلدهم عند اقتراب الألمـان من العلمين ، وهم الذين يعطون اسرائيل الرجال والمال والسلاح ليذبحونا . فهل يمكن أن يحتفى هؤلاء بواحد منا لو راوا انه نافع لأمته ؟ ان عنـدنا والحمد الله عقولا تفكر .

ومن مظاهر اهتمام المستشرقين بطه حسين أن بعضهم ، حينما أبعد عن الجامعة ، قد أعلنوا أسفهم الشديد وهاجموا المسؤولين عن ذلك وعدوا طه حسين من المناضلين من أجل حرية الفكر . وأعلن برجشتراسه ، وكان أيامها أستاذا بالجامعة المصرية ، انه لن يعود الى الجامعة الا اذا عاد اليها طه حسين(٩١) . هذا كله مع أن مئات الأساتذة المسلمين يفصلون ويسجنون ويقتلون فى انحاء العالم الاسلامى كله ولم نسمع من أحد من هؤلاء المستشرقين ولو كلمة مجاملة من باب ذر الرماد فى العيون . وأحب ألا يفهمنى أحد خطأ فيظن أننى مع اضطهاد الفكر ، ولكنى فقط أتساءل عن سر هذا الاهتمام الغريب بطه حسين وأمثاله . هـذا ، وسوف أعالج قضية حـرية الفكر بعد قليل .

فاذا عدنا الى الرافعى واتهامه لطه حسين وجدنا أن من الصعب أن نرى الرافعى بالتجنى وارسال القول على عواهنه . ومن المؤكد أن الرافعى كان يعرف عن طبيعة عـلاقات طه حسين بالمستشرقين ورجـال الدين والسياسة الغربيين(٩٢) الشىء الكثير ، بحكم المعاصرة ، وبحكم اهتمامه بقضايا الأدب والتاريخ العربى والاسلامى ، وبحكم اتصاله فى ذلك الوقت بالبيئات الثقافية النشطة واقطاب الفكر والأدب والنهضة الاسلامية ، بحكم وجود الاستعمار البريطانى على أرضنا مما يشجع من لهم علاقة بدوائر الغرب

---

(٩١) انظر معك/ص ١٠٩ — ١١٠ .

(٩٢) انظر انظر فى بعض هذه العلاقات/ص ١٦٢ ، ١٧٣ — ١٧٤ ، ١٧٨ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٦٦ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

السياسية والعلمية على عدم الاستتار بهذه العلاقات ، على الأقل . هـذا ، ودعنا من رحلته التى قام بها الى فلسطين وزار فيها الجامعة العبرية (سنة ١٩٢٧)(٩٣) ، تلك الجامعة التى بذل طه حسين جهوده (المشكورة) حتى نجح فى تذليل الاعتراض الذى أبداه رجال البعثات فى مصر على ذهاب طالب اليها(٩٤) . وكذلك دعنا من اشرافه على مجلة « الكاتب المصرى » اليهودية ، وتسهيله لأصدقائه من اليهود الخروج من مصر عنـد اقتراب الألمـان من العلمين(٩٥) .

---

(٩٣) معك/ص ٨٣ .

(٩٤) السابق/ص ١٨٦ .

(٩٥) معك/ص ١٤٠ . ولعل من الطريف أن نشير الى ما ذكرته السيدة سوزان فى هذا الكتاب من أن اخت وام احد الشبان من الاخوان المسلمين،وكان قد حكم عليه ضمن آخرين مثله بالاعدام لارتكابهم جرائم قتل (!) وذلك فى عهد عبد الناصر ، الحتا عليه ان يتدخـل لانقاذه . ولكنه لم يفعل بطبيعة الحال ، ربما لأنهم لم يكونوا يهودا . ومع ذلك فهذه القصة غير مقنعة ، اذ لا أظن أن سمعة طه حسين بين الاخوان المسلمين واسرهم كانت تشجعهم على أن يرجوا تحقيق هذا الطلب على يديه ، وهو الذى هاجمهم اشـد هجوم فى بعض ما كتب . علاوة على اننى لا اعرف أن الاخوان المسلمين قد ارتكبوا جرائم قتل فى عهد عبد الناصر (لاحظ التعبير : « جرائم قتل » ، وقد كانت تستطيع أن تسمى ذلك ، بغرض صحته ، « اغتيالات سياسية ») ، فى النهاية فانى لا أعرف لم لم تذكر السيدة الكاتبة اسم هذا الشاب . اغلب الظن أن مثل هذا الشاب وامه واخته ليس لهم وجود .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حـــرية الفكر

وبعد أن فرغنا من مناقشـة رأى الرافعى فى طه حسين ننتقل الى قضية «حرية الفكر » . وقد سبق أن رأينا الرافعى يعلن أنه لا يشاح فى حرية الفكر ولكن المشاحة فى حرية الجهل والكفر . ومن هنا نجده يدعو الى ابعاد طه حسين عن الجامعة وحماية النشء من أفكاره(٩٦) ، ويهاجم القانون الخاص بعدم عزل أى أستاذ جامعى ، ويرى أن المقصود به طه حسين(٩٧) . وبادىء ذى بدء أعلن أنى مع حرية الفكر ، أى أننى لست من أنصار محـــاكمة الناس ومعاقبتهم على عقائدهم المخالفة لما نؤمن نحن به . فما دمت لا أقبل من أحد أن يتدخل بينى وبين ربى سبحانه وضميرى فيجبرنى على تغيير معتقدى ، فكذلك لا أقبل بل لا أفكر مجرد تفكير أن أقسر أحدا على تغيير ما يعتنقه ، أو أطالب بمعاقبته على ما يؤمن به ، بيد أن هذا شىء والسكوت على ما نعتقد مخلصين انه خطأ شىء آخر ، على أن يكون الرد على الكلام بكلام مثله . ومن ثمة فانى اقدر الجهود العلمية المخلصة التى بذلها هؤلاء العلماء والنقاد الذين ردوا على آراء طه حسين وبينوا ما فيها من تهافت وعوار ، ولا أجد أية غضاضة فى تناولهم لموقفه من الدين وحكمهم عليه الحكم الذى يرتضيه المنطق والمستند الى نص ما قاله الدكتور دون تعســف أو لى للــكلم عن مواضعه . ولكنى برغم تقديرى لهذه الجهود وموافقتى على الحكم الذى أصدره هؤلاء الكتاب عليه لا أقر مطالبة البعض بمحاكمته ولا المحــاكمة نفسها . أن طه حسين أديب وكاتب ، واذن فينبغى أن يقتصر التصدى له على أمثاله من الكتاب والأدباء . وفكرة تقرع فكرة ، فى جدال طبيعى حر . أما النيابة العامة فما دخلها هنا ؟ (طبعا ، الا اذا ثبت أن هنــاك تآمرا ، فهذا شىء آخر) . وحتى يكون كلامى واضحا أحب أن أسأل من يخالفنى فى

---

(٩٦) انظر تحت راية القرآن/ص ١٨٨ ، ٣٠٦ ، ٣١٤ .

(٩٧) ص/١١٣ ـ ١١٤ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا الرأى عن موقفه لو ان الحكومة فى دولة غير مسلمة حجرت على كاتب مسلم من رعاياها أن يدعو الى ما يخالف عقيدة الدولة أو نظامها السياسى ، أو عاقبت احد مواطنيها لخروجه عن دين امته ودخوله فى الاسلام ؟ لقد كان المسلمون فى المدينة على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام يتمتعون بحرية القول الى حد مذهل . الم يحدثنا القرآن الكريم ان من بين أهل الكتاب طائفة كانت تتواصى باعلان الاسلام فى أول النهار والارتداد الى الكفر فى آخره(٩٨) ؟ هل سمع احد ان رسول الرحمة عليه صلوات الله وسلامه قد اكره احدا من هؤلاء على الرجوع الى الاسلام او عاقبه ؟ والمنافقون ، الم يكونوا لا يكفون عن نقد الرسول عليه السلام والمسلمين واستعمال كلام جارح فى حقهم احيانا ؟ أو لم ينزل القرآن معلنا ان هؤلاء النفر منهم او أولئك قد كفروا بالله بعد أن اسلموا(٩٩) ؟ هل قرأ احد نبى البر قد فكر مجرد تفكير فى معاقبتهم ؟ ان الملاحظ ان القرآن فى موضعين من المواضع التى تحدث فيها عن بعض من يدخل الاسلام ثم يعود فيكفر به قد بين بأجلى بيان أن الايمان بالله هو فضل منه سبحانه يؤتيه من يشاء(١٠٠) . ومعنى ذلك ان الذى يخرج من الاسلام انما يحرم نفسه من فضل وخير كثير ، فهل سنكون نحن ارفق به واحرص على مصيره من نفسه ؟

اقول هذا وامامى مثلان : الأول الشيخ محمد عرفة وكيل كلية الشريعة سابقا ، فقد أعلن فى مقدمة كتابه الذى نقض به مطاعن طه حسين فى القرآن أنه سيجادله بالمنطق ولن يلجأ الى القول بأن هذا القرآن مقدس لا يليق أن يطعن فيه هذا الطعن(١) . بل انه راى ان فصل الدكتور طه من الجامعة (يقصد سنة ١٩٣٢ فى عهد صدقى ، بسبب ما كان قد قاله فى القرآن قبل

---

(٩٨) آل عمران/٧٢ — ٧٤ .

(٩٩) التوبة/٤٩ ، ٥٥ ، ٦٦ ، ٧٤ ، ٨٠ ، ٨٤ — ٨٥ ، ٩٥ — ٩٧ ، ١٠٨ ، ١١٠ .

(١٠٠) آل عمران/٧٢ — ٧٤ ؛ والمائدة/٥٤ .

(١) انظر كتابه « نقض مطاعن فى القرآن الكريم »/ص ١٢ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلك) قد يفسره الناس على انه عجز من اولى الأمر عن ان يهدموا رأيه بالحجة فلذلك عمدوا الى القوة ، التى هى فى رأيه غير نافعة فى هدم رأى أو دحض مذهب(٢) ، وان كنت أخالفه فى تحرجه من أن يصم ما فيه مخالفة للدين وكفر به من تسميته باسمه(٣) مادام الانسان لا يأخذ بالشبهة ولا يحجر واسعا بل يقتصر فى ذلك على مالا يحتمل تأويلا بحيث لا يمكن أن يعنى الا الكفر . ومع ذلك فان الشيخ لم يتمالك قلمه ان يفلت منه اتهام المطاعن التى وجهت الى القرآن بأنها الحاد يلبس لبوس العلم(٤) . والمثل الثانى هو الشيخ عبد المتعال الصعيدى ، فقد كان من الذين ردوا على آراء طه حسين العاجزة المتداعية ، ومع ذلك فان له فى الدفاع عن حرية الاعتقاد والتفكير وتوضيح الموقف العظيم للاسلام منها عدة بحوث(٥) بين فيها أن الاكراه لا يؤدى الى شىء وانه ليس من الاسلام . وهو كلام متزن حكيم . وعندنا الدكتور طه حسين : هل نجحت محاكمته او حتى فصله من الجامعة بعد ذلك فى أن تغير آراه ؟ لقد اعلن انه مسلم يؤمن بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر ، ثم وجدناه يعلن بعد ذلك أن الدين هو اختراع بشرى، وأن الجماعة باعتقادها فى الالوهية انما تعبد نفسها ... الخ . كما رأيناه ايضا يكتب كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » فيسلخ مصر عن الشرق العربى والاسلامى جملة ويلحقها بأوربا ، وهكذا . ولعل القارىء لاحظ انى لم اذكر هنا مانسب اليه من آراء عن المكى والمدنى فى القرآن وفواتح السور ذكر بعض من هاجموه انه املاها على الطلبة فى الجامعة سنة ١٩٢٧ ، وهى آراء لا تقل خطرا عما ورد فى كتابه « فى الشعر الجاهلى » . وسبب اغفالى

---

(٢) ص/٩ .

(٣) انظر ص/١٢ .

(٤) انظر ص/٤٣ .

(٥) انظر كتبه : « مع زعيم الأدب العربى فى القرن العشرين » و « الحرية الدينية فى الاسلام » و « حرية الفكر فى الاسلام » و فصل « الاسلام وحرية البحث » (ص/٦٤ — ٩٠ من كتابه «دراسات اسلامية » .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لها ان طه حسين قد ذكر انه لم يفعل شيئا أكثر من عرضه لآراء المستشرقين فى هذا الموضوع لا آراءه هو . ولما كانت هذه الآراء غير مثبتة فى كتاب من كتبه فقد سكت عنها ، على اعتبار أنه لا يوجد دليل موثق على أنها له ، وان كنت لا أستبعد بل أرجح صدورها منه وبخاصة أن اسماعيل أدهم ، الذى كان معجبا بطه حسين وكتب عنه بحثا يمدحه فيه قد أسند هذا الكلام اليه ، بناء على ما رجع اليه من المذكرات التى أملاها طه حسين على طلبته(٦) . وفى المقابل نجد الأستاذ العقاد ، وهو الوفدى الوحيد الذى دافع عن طه حسين فى البرلمان وخارجه(٧) ، يعود فيرد على نظرية الشك فى الشعر الجاهلى ردا مفحما(٨) . ومع أن أحد لم يحاكمه على آرائه الجريئة فى الدين فى أول حياته(٩) فانه قد أنتج بعد ذلك كتبا عدة فى سيرة النبى عليه الصلاة والسلام وعظماء الصحابة ومحاسن الاسلام تخاطب العقل قل أن يوجد لها نظير فى قوة البرهان وصلابته ورصانة الأسلوب وحلاوته . ومثله فى ذلك الدكتور محمد حسين هيكل ، فقد رجع عن موقفه الأول من الاسلام وأصدر كتابا فى السيرة النبوية من أجمل ما كتب عنها ، بالاضافة الى كتبه عن

---

(١٠٦) انظر فى ذلك الشيخ محمد احمدعرفه/نقض مطاعن فى القرآن الكريم/ص ٤ — ٨ ، ١٣ — ١٥ ، وطه حسين/حديث المساء/ص ٤ — ٦ ، واسماعيل أدهم/طه حسين — درس وتحليل . وقد اشار الرافعى الى نية طه حسين فى درس القرآن من هذه الزاوية قبل أن يفعل طه حسين ذلك . انظر تحت راية القرآن/ص ٣٠٨ .

(٧) انظر فى ذلك/نعمات فؤاد/قمم أدبية/ص ١٤٨ ، و « حديث المساء » لطه حسين ص ٨ ، ١٢ ، وسامى الكيالى/مع طه حسين/ج ٢/ص ٨٧ .

(٨) انظر كتابه/مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية/ ص ٦١ — ٨٥ .

(٩) انظر فى ذلك فتحى رضوان/عصر ورجال/ص ٢٢٩ — ٢٣٠ . والعهدة عليه ، فانى لا أذكر أنى قرأت للعقاد ، على كثرة ما قرأت له ، شيئا شبيها بهذا .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أبى بكر وعمر والحكومة الاسلامية وغيرها . كلّ ذلك من غير ضغط ولا قسر ، ان الاسلام لن يكسب باكراه أحد خرج منه على العودة اليه ، فالاكراه انّ صح مع الجماد لا يصح فى الحب والكره ولا فى العقائد والآراء.وهو لا يصنع مسلما بل يزيد المنافقين الذين يعملون على تقويض الاسلام من داخله واحدا . ولخيرلنا نحن المسلمين أن نعرف الملحدين والكفرة بأعيانهم من أن ننخدع فى اعلانهم الاسلام تقية وخداعا . والاسلام طاهر نظيف ، ولا يقبل الا الطاهرين الأنقياء(١٠) . ذلك ، وقد صودر كتاب « فى الشعر الجاهلى » ، فهل اختفت الآراء التى وردت فيه ؟ أليس من الطريف أن كتاب الرافعى رحمه الله وكذلك كتب الغيورين على دينهم الذين نقضوا الآراء الواردة فى ذلك الكتاب قد تكفلت ولا تزال بنشر هذه الآراء بنصها كما هى فى الكتاب المصادر ؟ أى انك قد تطرد الفكرة من الباب وتلتفت فاذا بها قد عادت من الشباك . أرجو أن يكون القارىء بذلك قد رأى قضية حرية الفكر فى وضعها الصحيح .

بيد أن هذاجانب واحد من الأمر ، على حين أن الجانب الثانى هو أن حرية الفكر يجب ان تكون شاملة ينعم بها كل الأطراف لا ان تقتصر على طرف دون الآخر . مثلا ، ما معنى النص فى عقد انضمام الجامعة القديمة الى الجامعة التى كانت الحكومة تزمع انشاءها على أن يكون طه حسين استاذا فى هذه الجامعة الجديدة ؟ (كان ذلك فى سنة ١٩٢٣)(١١) .

---

(١٠) انظر كتابى/تفسير سورة المائدة/ص ٩٤ (عند تفسير الآية/٥٤ من هذه السورة) ، وكذلك كتابى/تفسير سورة التوبة (عند تفسير الآيات/٥٨ ، ٦١ ، ٨٠/ص ١٠٥ ، ١١٧ ، ١٤٥ — ١٤٦) .

(١١) انظر أحمد لطفى السيد/قصة حياتى/ص ١٧٥ وكذلك ص ١٧٩ حيث يعلل هذا الشرط بأنه راجع لحالة الدكتور طه حسين الشخصية . وهو تعليل متهافت يستتر خلف هذا الاعتبار الانسانى الذى لا ندرى لماذا لم يطبق مع غير طه حسين فى كل المصالح الحكومية فى انحاء القطر كله . وانظر كذلك د.حسين فوزى النجار / أحمد لطفى السيد استاذ الجيل / ص ٢٧١ ، ٢٧٨ و د.نعمات فؤاد / قمم أدبية / ص ٣٤ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولما ضمت الجامعة المصرية الى وزارة المعارف سنة ١٩٢٥ فى عهد حكومة الأحرار الدستوريين(١٢) ، الذين وقف طه حسين قلمه على الدعاية لهم ؛ انضم معها طه حسين آليا(١٣) ، فما دلالة ذلك ؟ وما مغزاه ؟ ولم كل هذا التحويط على طه حسين بالذات ؟ لقد لفت هذا الأمر المرحوم مصطفى صادق الرافعى واثار ارتيابه ، فقال : « كنا والله نرتاب فى أن الجامعة المصرية مدرسة الحاد ، وان طه حسين ما أخذ لها دون سواه ممن كانوا فى الجامعة

---

(١٢) وهو امتداد لحزب الأمة ، حزب لطفى السيد ، الذى انفق صدر حياته فى المناداة باستقلال مصر عن تركيا ، مع ان تبعية مصر لتركيا لم يعد لها آنذاك وجود فى الواقع ، وانما كانت بلواها هى الاحتلال الانجليزى ، الذى كان لطفى السيد حبيبا لعميده كرومر . ولطفى السيد هذا الذى كان يحرض المصريين على عدم مساعدة اخوانهم الليبيين المسلمين ضد العدوان الايطالى ، على حين نظم عقود المديح فى كرومر (الطاغية الانجليزى النصرانى الذى اساء الى الاسلام والمسلمين بأعماله وكتاباته) وبخاصة عند توديعه عشية ذهابه من مصر فى ستين داهية بجهود الزعيم الوطنى الشاب النقى المخلص مصطفى كامل بعد مجزرة دنشواى ، التى اوقعها كرومر هذا بالفلاحين المصريين المستضعفين ، على ما هو معروف . انظر فى كراهية كرومر لنا الفصلين اللذين عقدهما للاسلام والمسلمين فى مصر ، فى كتابه Modern Egypt جـ ٢/ص ١٢٣ — ٢٠٠ ، لترى بغضه السام لنا ولديننا وعلمائنا . كما ان لطفى السيد هذا هو الذى كان يقف دائما للدفاع عن طه حسين وآرائه . انظر فى مواقف لطفى السيد هذه د. حسين فوزى النجار/ أحمد لطفى السيد استاذ الجيل / ص ١٢٥ — ١٤٩ ، ١٨٦ — ١٨٨ ، ١٩١ — ١٩٢ ، وكذلك كتاب أحمد لطفى السيد / قصة حياتى/ص ٤٩ — ٧٧ وكذلك كلامه عن كرومر والانجليزفى الجز الأول من كتاب « المنتخبات » ود. محمد محمد حسين/الاتجاهات الوطنية فى الأدب العربى المعاصر/جـ ١/ص ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٥ — ٨٦ ، ٨٨ — ٩٠ . ود. محمد حسين هيكل/مذكرات فى السياسة المصرية/جـ ١/ص ٤٩ — ٥٠ . وانظر نص ما قاله فى توديع كرومر فى « الجريدة » ١٩٠٧/٤/٣٠ .

(١٣) انظر محمد سعيد العريان/حياة الرافعى/ص ١٥٤ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

القديمة الا لهذه العلة فيه لأنه أقوم بها واقدر عليها »(١٤) . وكان رأيه أن الجامعة حينما فكرت فى اصدار قانون بمنع اساتذتها من الفصل فقد كان الهدف من ذلك حماية طه حسين بالذات(١٥) .

ويتصل بهذا ان طه حسين حين أصدر كتابه « فى الشعر الجاهلى » قدمه بهذه الكلمات لرئيس الوزارة فى ذلك الحين عبد الخالق ثروت :

الى حضرة صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا .

سيدى صاحب الدولة .

كنت قبل اليوم اكتب فى السياسة ، وكنت أجد فى ذكرك والاشادة بفضلك راحة نفس تحب الحق ، ورضا ضمير يحب الوفاء .

وقد انصرفت عن السياسة وفرغت للجامعة ، واذا انا اراك فى مجلسها كما كنت أراك من قبل قوى الروح ، ذكى القلب ، بعيد النظر ، موفقا فى تأييد المصالح العلمية توفيقك فى تأييد المصالح السياسية .

فهل تأذن فى ان اقدم اليك هذا الكتاب مع التحية الخالصة والاجلال العظيم .

ان الكتاب كتاب فى النقد الأدبى ، فما دخل رئيس الوزراء فيه ؟ ومتى كانت كتب النقد الأدبى تقدم لرؤساء الحكومات ؟ ولاحظ قوله « سيدى » ! ثم عبارات الغزل الولهى هذه فى قوة روح ثروت باشا وذكاء قلبه وبعد نظره (وبالذات بعد نظره) ، وهذه الاشارة الى تأييده للمصالح العلمية ، الا يشم فيها القارىء رائحة معينة ؟ اننا نتساءل : لماذا هذا التحكك والتمحك برئيس الحكومة فى مقدمة هذا الكتاب بالذات ؟ أهذا صنيع من يؤمنون حقا بحرية الفكر أم صنيع من يؤمنون بحرية فكرهم هم وحدهم ، ويحتمون بأصحاب السلطان حتى يقفوا بالمرصاد لمن يردون عليهم ؟ كنت احب أن يدع

---

(١٤) تحت راية القرآن/ص ١١٢ ، ٢٥٧ .

(١٥) تحت راية القرآن/ص ١١٤/هـ ١ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الدكتور طه كتابه يأخذ مجراه فى الهواء الطلق خارج هذه « الصوبة » . لقد رآنى القارىء ادافع عن حرية الفكر ، ولكن حرية الفكر ينبغى ، كما قلت ، ان تتمتع بها كل الأطراف . أما الاستتار خلف السلطة فانتهاك لهذه الحرية وخيانة لها . وأنا اذن مع الرافعى فى تأكيده أن الحق لا يبحث عمن يحميه بل يصمد للنقد لأنه قوى بذاته(١٦) ، لكنى لست معه فى الدعوة الى فصل طه حسين من الجامعة . غير أن الانصاف يقتضينا أن نوضح أن سبب ثورته العارمة هذه هو رؤيته أيديا خفية قوية تسند طه حسين وحده وآراءه .

كذلك فان حرية الفكر ، لو ان المسؤولين فى الجامعة الذين كانوا يتشدقون بها فى ذلك الحين كانوا صادقين ، كانت تستلزم أن تمثل التيارات الفكرية جميعها فى الجامعة بنسبتها الحقيقية . أما أن يستجلب للجامعة المستشرقون أعداء ديننا ويحرم من التدريس فيها الرافعى مثلا فليس من الحرية الفكرية فى شىء . ترى هل كان الرافعى عاجزا عن تدريس الأدب العربى وتاريخه ، وهو الذى وضع كتابا رائدا فى تاريخ الأدب العربى ، وهو كتاب أكثر من ممتاز بالنسبة للعصر الذى كتب فيه ، وقد سبق أن راينا لطفى السيد نفسه بل وطه حسين أيضا يقرظانه بما هو أهله(١٧) ؟ أم هل الحرية هى قصر التدريس فى الجامعة على من كانوا يسمون انفسهم بالمجددين واساتذتهم المستشرقين ؟ أمن الانصاف والاستقلال الفكرى استقدام كازانوفا ونلينو مثلا واهمال الرافعى ؟ لماذا لم تعط الفرصة لممثلى التيارات الفكرية والأدبية بنسبتهم الصحيحة فى الحياة الثقافية المصرية مع ترك عوامل التطور تأخذ مجراها الطبيعى عن طريق الاحتكاك بين هذه التيارات المختلفة فى المحاضرات والكتب والندوات ؟

---

(١٦) المرجع السابق/ص ٣٠٨ — ٣٠٩ .

(١٧) انظر حياة الرافعى/ص ٦٧ — ٧٠ حيث يذكر رأى بعض مشاهير العصر وكتابه فى كتاب « تاريخ آداب العرب » للرافعى حين ظهوره والجهد الذى بذله الرافعى فى تأليف هذا الكتاب الرائد وكيف كان هذا الكتاب سببا من أسباب تدريس هذه المادة فى الجامعة المصرية .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهل من حرية الفكر أن يرفض المسؤولون عن الجامعة المناظرة التى دعاها الرافعى رحمه الله الى عقدها بينه وبين طه حسين ؟ ان المؤمنين الحقيقيين بحرية الفكر يحرصون اشد الحرص على احتكاك العقول والآراء حتى يتمحض الحق وتظهر فسولة الباطل . أما رفض مثل هذا الاحتكاك فقد يكون اى شىء آخر غير حرية الفكر والرغبة فى الوصول الى الحقيقة(١٨) . ليس ذلك فحسب ، بل أن الرافعى يذكر أن الأستاذ الخضرى بك « كان قد أعد محاضرة مسهبة فى الرد على طه حسين وكتب الى الجامعة يستأذنها فى القائها على الطلبة فوسعت له وقالت انها تقدس حرية الفكر وانها تخصه بأوسع غرفة لمحاضرة الطلبة ، بيد أنها سألته أن يبعث اليها بما كتب . فلما اطلعت عليه رأت أن تستر على نفسها وأغلقت الباب وقالت لأقفالها : دافعى أيتها الأقفال المتينة »(١٩) .

والغريب أن تكون علة التراجع المؤسف هذا هى الادعاء « بأن الكتاب لم يلق على الطلبة حتى يرد عليه فى نفس الجامعة»(٢٠) . وانا لنتساءل : اذن لماذا قبلت المناظرة أولا ؟ فى ضوء هذا يمكننا أن نفهم قول الرافعى للطفى السيد انه يخشى من استقلال الجامعة وحرية التفكير(٢١) .

كذلك هل من حرية الفكر أن يضيق طه حسين بمناقشة أحد طلبته له فينهره ويسكته ، ويترك المحاضرة ويخرج ، مع أنه هو الذى أذن له بالكلام ؟ ولكن يبدو أنه كان يتوقع من الطالب أن يقوم فيثنى على آرائه وما كان يسميه « نظريته » فى الشعر الجاهلى . ولنترك الأستاذ محمود شاكر يروى لنا القصة

---

(١٨) انظر فى خبر هذه المناظر « تحت راية القرآن »/ص ١١٦ ، ١٢٢ .

(١٩) تحت راية القرآن/ص ٣١٢ .

(٢٠) انظر « تحت راية القرآن »/ص ٣٨٨ . والكلام للأستاذ القاياتى فى البرلمان . وانظر فى هذا الادعاء أيضا ص ٣٨٥ من نفس الكتاب .

(٢١) تحت راية القرآن/ص ٣١٤ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بقلمه : قال : « بعد المحاضرة طلبت من الدكتور طه ان يأذن لى فى الحديث ، فأذن لى مبتهجا ، أو هكذا ظننت . وبدأت حديثى عن هذا الأسلوب الذى سماه « منهجا » وعن تطبيقه لهذا « المنهج » فى محاضراته ، وعن هـذا « الشك » الذى اصطنعه : ما هو ؟ وكيف هو ؟ وبدأت ادلل على ان الذى يقوله عن « المنهج » وعن « الشك » غامض ، وانه مخالف لما يقوله ديكارت، وان تطبيق منهجه هذا قائم على التسليم تسليما لم يداخله الشك بروايات فى الكتب هى فى ذاتها محفوفة بالشك ! وفوجىء طلبة قسم اللغة العربية ، وفوجىء الخضيرى خاصة . ولما كدت افرغ من كلامى انتهرنى الدكتور طه واسكتنى ، وقام وقمنا لنخرج »(٢٢) .

(٢٢) محمود شاكر/المتنبى/السفر الأول/ص ٢٢ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

اتهام الرافعى لطه حسين بسرقة آراء المستشرقين

هذه حرية الفكر من كل جوانبها ، قلت فيها ما أملاه على ضميرى بلا ميل الى هذا الطرف او ذاك . وننتقل الآن الى القضية الثالثة التى أثارها الرافعى رحمه الله فى مقالاته ، وهى اتهامه طه حسين بأنه سرق آراء فى الشعر الجاهلى من المستشرقين . وقد كرر الرافعى ، رحمة الله عليه ، هذا الاتهام فى أكثر من موضع من مقالاته التى نشرها اثر صدور كتاب « فى الشعر الجاهلى » عام ١٩٢٦ ، ثم جمعها مع مقالات سابقة فى كتابه « تحت راية القرآن » .

ففى صفحة ١٢٢ (وفى المقالة المعنونة بـ « وشهد شاهد من أهلها ») يذكر انه قرأ فى جريدة « البلاغ » بتوقيع « فرحات » أن محاضرة استاذ الجامعة (يقصد طه حسين) فى امرىء القيس مسروقة من دائرة المعارف الاسلامية المطبوعة فى المانيا « وفى ص ١٢٨ — ١٢٩ (وذلك فى مقالة بعنوان « قال انما أوتيته على علم بل هى فتنة ») يتهم طه حسين اتهاما عاما بتقليد المستشرقين ، الذين لا يوثق برأيهم ولا بفهمهم فى الآداب العربية . أما فى ص ١٣٢ (من نفس المقال السابق) فقد عزا ادعاء طه حسين ان النبى ﷺ نهى عن رواية شعر أمية بن ابى الصلت الى كليمان هوار ، الفرنسى ، وان كان قد ذكر أيضا ان تعليل طه حسين لهذا النهى المزعوم يختلف عن التعليل الأحمق السخيف للمستشرق الفرنسى ، على حد قوله . وهو يعود فى ص ١٤٦ (من مقالة « أستاذ الآداب والقرآن . الى هيئة كبار العلماء ومجلس ادارة الجامعة ») فيرميه بأنه أخذ ما يفيده كلامه من أن القرآن الكريم هو كلام النبى ﷺ ومن نظمه وعمله من هذا المستشرق أيضا ومن غيره من المستشرقين . وفى ص ١٧٦ (من مقالة بعنوان « موقف حرج لوزارة المعارف ») يؤكد « أن تقليد بعض المستشرقين هو الذى افسد طه ، فقد صحبهم وأخذ عنهم ، ثم نزع الى مذاهبهم وأقاويلهم ، لأنه واياهم سواء أو متقاربون فى الركاكة وسقم الفهم والوقوع بالبعد البعيد من أسرار الكلام

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

العربى ومعانيه » ، وبعد ذلك بصفحة (من نفس المقالة السابقة) يقول انه « قد أخذ فكرة الشك فى شعر الجاهلية عن المستشرقين أيضا » . ويمضى قائلا ان صاحب « المقتطف » قد أخبره (فى سبتمبر ١٩٢٥) بخبر مقالة مرجليوث (فى مجلة الجمعية الآسيوية) التى ينكر فيها صحة الشعر الجاهلى ، وساق له بعض أدلته فلم يجد فيها مقنعا ولا رضا ، وانه لما فتحت الجامعة اذ بالدكتور طه حسين «ينتحل الفكرة ويدعيها ويبوب لها أبوابا ويفصل فصولا ويدرس ذلك فى الجامعة »(٢٣) . ومع ذلك فقد عاد فى ص ٢١٣ (من مقالته المعنونة بـ « قد تبين الرشد من الغى ») فقال ان أحدهم قد نبهه الى أن فكرة طه حسين مأخوذة بكثير من أدلتها من كتاب « الشعر العربى قبل الاسلام » المطبوع بباريس سنة ١٨٨٠(٢٤) .

هذا ما تنبهت اليه من اتهامات الرافعى للدكتور طه حسين بأنه سرق أفكاره فى الشعر الجاهلى من المستشرقين . والملاحظ أن المرحوم الرافعى قد اتهم د. طه أكثر من مرة اتهاما عاما بنقل آراء المستشرقين . وبالنسبة لبعض الأفكار الجزئية نجده قد اتهمه مرتين بالنقل عن مستشرق معين هو كليمان

---

(٢٣) سمى المرحوم الرافعى بأسلوبه التهكمى مرجليوث وطه حسين بـ « الشيخ مرجليوث » و « المستر طه حسين » ، وهى تسمية ذات دلالة على ما يتهم به الرافعى الدكتور طه من انتحال أفكار مرجليوث فى الشعر الجاهلى . انظر ص ١٧٧ من « تحت راية القرآن » .

(٢٤) صاغ الرافعى ذلك بعبارات تهكمية هذا نصها : « ظننا أن أستاذ الجامعة أخذ فكرة الشك فى شعر الجاهلية عن المستشرق مرجليوث ، ولكن أحد الفضلاء نبهنا الى انه قبل جحا قد كان أبو دلامة . فان هذه الفكرة من آراء مستشرقى الألمان ، وهى مبسوطة بكثير من أدلة طه حسين فى كتاب « الشعر العربى قبل الاسلام » المطبوع فى باريس سنة ١٨٨٠ ، فيسرنا والله أن نباهى الأمم كلها بجامعتنا المصرية التى جاءت فى تاريخ الدنيا بمعجزة فوق المعجزات ، اذ ظفرت لتدريس الآداب العربية بأستاذ عظيم تسرق آراؤه وتطبع وتنشر فى أوربا قبل أن يولد هو فى مصر ببضع سنوات » . ص ٢١٣ من « تحت راية القرآن » .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هوار . ذكر ذلك مرة صراحة ، حين اتهمه بسرقة ادعائه فى نهى النبى عن رواية شعر أمية بن ابى الصلت ، ومرة أخرى على نحو غير مباشر ، حين اشار الى مقالة « امرىء القيس » فى دائرة المعارف الاسلامية . فهذه المقالة كتبها هذا المستشرق نفسه . أما بالنسبة للفكرة الرئيسية فى كتاب طه حسين فقد عزاها مرة الى مقالة مرجليوث ، ثم رجع فصعد بها الى كتاب « الشعر العربى قبل الاسلام » المطبوع بباريس سنة ١٨٨٠ . ولا شك أن الرافعى قد استمد معرفته بتلك المراجع الأوربية من غيره ، اذ لم يكن الرجل يعرف لغة اوربية معرفة تمكنه من الرجوع اليها بنفسه (الذى اعرفه انه كان له المام محدود بالفرنسية) . وعلى كل حال فقد كفانا الرجل مؤونة الاستنتاج باعترافه بنفسه أن هذا الشخص او ذاك هو الذى نبهه الى هذه المعلومة أو غيرها . وهى أمانة علمية وشجاعة خلقية منه ، رحمه الله ، لابد من التنويه والاشادة بها .

فأما اتهاماته العامة للدكتور طه حسين بأنه اخذ افكاره عن المستشرقين فلا نتعرض لها ، والا لكان علينا أن نرجع الى كل ما كتبه المستشرقون فى هذا الصدد . علاوة على أنه قد ذكر نقاطا محددة واتهم طه حسين بأنه نقلها عن مستشرقين معينين ، وهو ما يعفينا من القيام بهذه المهمة ويجعلنا نركز بحثنا فى هـذه الاتهامات المحددة .

ولنبدأ باشارته الى انه قرأ فى جريدة « البلاغ » بتوقيع « فرحات» (؟) أن محـاضرة طـه حسين فى امرىء القيس مسروقة من دائرة المعـارف الاسلامية(٢٥) . صحيح أن فرحات هذا لم يحدد المادة التى ذكر أن الدكتور طه قد سرق منها افكاره عن امرىء القيس ، الا أن الذهن يتجه للتو الى مادة « امرىء القيس » ، وهى المادة التى كتبها كليمان هوار ، كما ذكرت قبلا . كذلك صحيح أن كاتب البلاغ لم يقل ان الفصل المعقود لامرىء القيس فى

---

(٢٥) تحت راية القرآن/ص ١٢٢.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كتاب « فى الشعر الجاهلى » هو المسروق من دائرة المعارف الاسلامية بل محاضرته عن هذا الشاعر . بيد اننا ليس بين ايدينا محاضرات طه حسين ، ومع ذلك فيمكننا ان نعتمد على ما ذكر الرافعى أن طه حسين قاله فى محاضراته عن هذا الشاعر الجاهلى وكذلك على ما استشهد به من كتاب الدكتور طه بعد صدوره . وخلاصة ما عارض فيه الرافعى طه حسين هو ادعاؤه أن الغزل المروى لامرىء القيس هو لعمر ابن أبى ربيعة والفرزدق(٢٦) ، وأن حياة امرىء القيس ليست الا لونا من التمثيل لحياة عبد الرحمن « بن الأشعث »(٢٧) وأن رحلته الى قيصر غير حقيقية وشعره فى ذلك مصنوع(٢٨) . وكذلك حيرته فى تحديد تاريخ حياته بين القرن الرابع والقرن الخامس الميلاديين(٢٩) . هذا ما أخذه الرافعى على طه حسين ، وان لم يتهمه اتهاما صريحا (اقصد ان كاتب البلاغ ، الذى نقل كلامه الرافعى بما يفيد موافقته عليه ، لم يتهمه اتهاما صريحا) بأنه نقل هذه الأفكار بعينها عن دائرة المعارف الاسلامية بل انصب الاتهام على محاضرة طه حسين عن امرىء القيس بوجه عام .

على كل حال ، فبالرجوع الى مادة « امرىء القيس » فى دائرة المعارف الاسلامية(٣٠) وجدنا ان هوار لم ير ما يدعوه الى الشك فى حقيقة وجود امرىء القيس ، وان كان يشك فى أن الامبراطور يوستنياس قد خلع عليه حلة مسمومة قتلته ، بسبب تغريره بابنته ، كما يشك « فى أن اشعاره قد وصلت الينا فى وزنها الأصلى » . ومع ذلك فقد لخص رأى السيرتشارلز ليال ، الذى « بين أن استعمال هذا الشاعر الجاهلى لضرب نادر من بحر البسيط

---

(٢٦) انظر ص ١١٤ ، ٢٩١ — ٢٩٣ من « راية القرآن » .
(٢٧) السابق/ص ٢٧٩ .
(٢٨) السابق/ص ٢٩٧ — ٢٩٨ .
(٢٩) السابق/ص ٢٦٨ — ٢٦٩ .
(٣٠) الترجمة العربية/ط دار الشعب/مجلد ٤/ص ٤٠٦ ، وكاتبها كما قلت هو كليمان هوار .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

واتفاقه فى طرائق الشعر مع عبيد بن الأبرص دليل على صحة ما وصل الينا من شعره » . وان المقارنة بين آراء هوار هذه وبين آراء طه حسين تكشف لنا عن اتفاق محدود بينهما فى الشك فى شعر امرىء القيس : فأما هوار فيشك فى أن تكون أشعاره قد وصلت الينا فى وزنهـا الأصلى (على ما فى هـذا الكلام من غموض وغرابة) ، واما طه حسين فيشك فى صحة الشعر المنسوب اليه بوجه عام ، ويعزو معظمه الى عمر بن أبى ربيعة والفرزدق . كذلك فهوار يشك فى أن يكون الامبراطور البيزنطى قد قتل امرأ القيس ، لأنه كما يقول لم يثبت أن كان له ابنة حتى يغرر بها الشاعر ، على حين يشك طه حسين فى رحـلة امرىء القيس الى قيصر كلها ، اى أن المستشرق الفرنسى والدكتور متفقان فى الشك على الأقل فى جزئية من هذه الرحلة هى قصة الحب ، وان كان الدكتور طه لا يكتفى بهذا بل يعمم هذا الشك على الرحلة كلها . نخلص من هـذا الى أنه اذا كان الدكتور طه قد أخـذ بعض أفكار هوار الموجودة فى هذه المقالة ، وهذا شىء غير مستبعد ، اذ انه كان كثير الاستشهاد بآراء الرجل مما يدل على معرفته بكتاباته وأفكاره بل كان شديد الاعجاب به(٣١) ، فانه لم يأخذها كما هى ، بل نفخ فيها وضخمها حتى تحول شك هوار القليل والمحصور فى جزئيتين خاصيتين كما رأينا الى شك يكاد يشمل كل ما يتعلق بحياة الشاعر وشعره .

هذا عن آراء طه حسين فى حيـاة امرىء القيس وشعره . أما اتهام الرافعى له بأنه سرق زعم هوار أن النبى عليه الصلاة والسلام قد نهى عن رواية شعر امية بن أبى الصلت فان كلام الدكتور طـه حسين نفسه(٣٢) يبدو أنه يزكى هذا الاتهام (وان كان هناك بعض الاختلاف بينهما مما سأشير

---

(٣١) انظر على الأقل فصـل « الدين ونحل الشعر » من كتاب « فى الشعر الجاهلى » حيث يناقش الدكتور طه حسين بعض آراء هذا المستشرق ويبدى اعجابه الشديد به .

(٣٢) انظر فى الشعر الجاهلى/ص ٨٢ — ٨٦ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

اليه عما قليل) ، فقد ذكر أولا قول هوار ان صحة الشعر المنسوب الى امية واستعانة النبى فى نظم القرآن قد حملتا المسلمين على مجاربة شعر أمية ومحوه ليصح أن النبى قد انفرد بتلقى الوحى من السماء(٣٣) ، ثم عقب على ذلك بانه من أشد المعجبين بالأستاذ هوار وبطائفة من المستشرقين أمثاله وبنتائج بحوثهم (مع مخالفته له فى صحة شعر امية) ، وبعد ذلك ردد فكرة هذا المستشرق عن النهى عن رواية شعر الشاعر ، وان كان قد وصل اليها من طريق آخر . الا ان الأمانة العلمية تملى علينا أن نذكر مالاحظناه من ان د. طه حسين لم يقل ان النبى عليه الصلاة والسلام هو الذى نهى عن رواية شعر امية ، بل قال : « وليس يمكن أن يكون من الحق فى شىء ان النبى نهى عن رواية شعر امية لينفرد بالعلم والوحى وأخبار الغيب »(٣٤) ، مما يفهم منه أن الذى نهى رواية شعر امية لم يكن النبى بل المسلمون وان ذلك كان خاصا بالشعر الذى هجا به امية المسلمين وايد فيه المشركين . اكثر من ذلك ان الدكتور طه يشك فى الشعر الذى يتناول فيه امية امورا تشبه ما جاء فى القرآن الكريم ، ويرى ان المسلمين هم واضعو هذا الشعر على لسان هذا الشاعر ليثبتوا ان للاسلام قدمة وسابقة فى البلاد العربية . خلاصة القول انه اذا كان الدكتور طه حسين قد اخذ الجزئية الخاصة بالنهى عن رواية شعر امية من هوار (وليس ما يمنع عندى من ذلك بل انا ارجحه) فانه فى

---

(٣٣) وردت هذه الآراء ، كما ذكر طه حسين ، فى بحث لهذا المستشرق نشرته له المجلة الآسيوية سنة ١٩٠٤ . وقد لاحظت ان هوار لم يذكر هذه النقطة فى كتابه La Litterature Arabe فى المواضع التى ورد فيها ذكر امية . وهذا الكتاب قد ظهر قبل نشر مقالته المشار اليها ، بل ترجم ايضا الى الانجليزية فى العام السابق على سنة ظهور هذه المقالة . فهل نفهم من ذلك أن زعمه الخاص بنهى النبى عن رواية شعر أمية لم يكن قد عن له قبل هذه المقالة ؟ يبدو ذلك .

(٣٤) فى الشعر الجاهلى/ص ٨٤ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

نفس الوقت يخالف ذلك المستشرق فى بعض افكاره الأخرى المتصلة بالموضوع .

اما اتهامه بانه أخذ ما يفيده كلامه من أن النبى عليه الصلاة والسلام هو مؤلف القرآن من هوار وغيره من المستشرقين فقد جاء فى معرض مناقشته لموقفه من القرآن الكريم وما يحكيه من قصة ابراهيم واسماعيل وهجرتهما الى مكة ورفعهما قواعد البيت الحرام . والشق الأول فى هذا الاتهام ليس فيه أى قدر من التجنى ، فان موقف طه حسين من هذه القصة القرآنية والحاقه اياها بالأساطير وقوله ان الاسلام قد استغلها لأسباب سياسية لا يمكن أبدا ، مهما كان القارىء حسن الظن ، فهمها الا على أساس أن طه حسين قد قصد أن القرآن من صنع الرسول عليه السلام . ولكن ماذا عن الشق الثانى من الاتهام ، أعنى أن طه حسين قد أخذ كلامه هذا من هوار وغيره من المستشرقين ؟ الحقيقة انه لم يؤثر عن الدكتور طه حسين ، قبل سفره الى فرنسا ، مثل هذه الآراء . والذى جد عليه أثناء بعثته الى هناك هو احتكاكه بأفكار المستشرقين احتكاكا مباشرا وعلى نحو أشد مما فى مصر ، بحكم اتساع معرفته باللغة الفرنسية وسهولة اتصاله بكتابات المستشرقين ، التى لم يكن متوافرامنها فى مصر الا القليل ، وكذلك بحكم الحرية التامة التى لا شك ان هؤلاء المستشرقين كانوا يتحدثون بها عن الاسلام فى بلدهم على عكس ما كان ينبغى عليهم أن يراعوه فى محاضراتهم بمصر ، مهما بلغت جراتهم وعدم مبالاتهم بمشاعر اهل البلد المسلمين . اى أن هذه الأفكار لم يكن لها وجود فى كتابات طه حسين ثم اصبح لها وجود بعد عودته من فرنسا واتصاله المباشر القوى بالمستشرقين وأفكارهم عن الاسلام والقرآن والرسول عليه السلام . من هنا فانى لا استطيع الا أن أوافق المرحوم الرافعى على أن طه حسين ، حينما يلمح الى ان القرآن هو من تأليف النبى عليه الصلاة والسلام ، انما يردد آراء المستشرقين ، ومنهم هوار بطبيعة الحال ، الذى كان يكن له اعجابا شديدا كما رأينا .

تشابه آراء طه حسين ومرجليوث

ويبقى اتهام الرافعى رحمه الله لطه حسين بأنه أخذ فكرته عن الشعر الجاهلى من مرجليوث ، وان كان عاد فأشار ، بناء على ما أخبره به أحدهم، الى أنه ظهر قبل مقالة مرجليوث بعشرات السنين (سنة ١٨٨٠ بالتحديد) كتاب فى باريس بعنوان « الشعر العربى قبل الاسلام » . والحقيقة أنى حاولت معرفة مؤلفى هذا الكتاب لأترقى من ذلك الى معرفة الأفكار الواردة فيه والتأكد من دعوى الرافعى رحمه الله ، ولكنى لم أصل الى شىء . وعلى هذا فلن أناقش هنا هذا الاتهام ، وسأركز كلامى على اتهام طه حسين بأخذ أفكار مرجليوث ، ذلك الاتهام الذى كان الأستاذ الرافعى ، فى حدود علمى واستقصائى ، أول من وجهه اليه (كتابة طبعا ، والا فان الأستاذ شاكر ، فيما يروى ، قد اتهم طه حسين أمام بعض زملائه من الطلاب منذ أول يوم ، وهو ما سنتعرض له بعد قليل) . قال الرافعى (٣٥) : « ولقد أخذ (يقصد الدكتور طه) فكرة الشك فى شعر الجاهلية عن المستشرقين أيضا ، فقد كان حدثنا الأستاذ العلامة الكبير صاحب مجلة المقتطف فى شهر سبتمبر من السنة الماضية أن مجلة الجمعية الآسيوية نشرت بحثا للشيخ مرجليوث ، المستشرق الانجليزى المعروف ، أنكر فيه صحة الشعر الجاهلى ، ثم ساق لنا الأستاذ بعض أدلته فلم نجد فيها مقنعا ولا رضا . وقلنا : هو رأى فى العلم لا علم ، ثم هو من مستشرق ، وذلك أوهن له . وما كان لنا أن نأخذ عن القوم فى الأدب العربى الا بتمريض واحتراس . ولما فتحت الجامعة اذا المستر طه حسين ينتحل الفكرة ، ويدعيها ، ويبوب لها أبوابا ، ويفصل فصولا ويدرس ذلك فى الجامعة » .

وواضح من هذا النص أن الرافعى رحمه الله قد اتهم طه حسين بأنه

---

(٣٥) تحت راية القرآن/ص ١٧٧ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سرق فكرة مرجليوث الاساسية ، ولكنه عرضها عرضا مفصلا . وواضح ايضا أن مقالة مرجليوث قد وصلت الى مصر قبل أن تفتح الجامعة أبوابها للعام الدراسى ٢٥ — ١٩٢٦ ، وأن الأستاذ الرافعى قد علم بما فيها فى سبتمبر ١٩٢٥ (وقد أشار الى ذلك بقوله : « فى شهر سبتمبر من السنة الماضية » . ولما كان قد كتب مقالته التى اقتبسنا منها هذا النص مع بقية مقالاته فى سنة ١٩٢٦ اثر ظهور كتاب « فى الشعر الجاهلى » لم يعد هناك شك فى هذين التاريخين اللذين أوردناهما) .

واحب اولا ان اعرض النقاط الرئيسية التى تتكون منها نظرية مرجليوث عن الشعر الجاهلى ، ثم اقابل بينها وبين العناصر الرئيسية فى فكرة الدكتور طه حسين حول الموضوع ذاته لنرى مدى التشابه او التباعد بينهما . وبعد ذلك انتقل الى التحقيق من تاريخى صدور بحثى مرجليوث وطه حسين . وفى النهاية اناقش الى اى حد يمكننا القول ان طه حسين قد اخذ فكرته وآراءه من مرجليوث أولا ، فأما بالنسبة لأفكار مرجليوث الرئيسية فى مقالته المشار اليها(٣٦) فانه يشك فى وجود اى شعراء جاهلين(٣٧) ، ولا يصدق ما اتت به الروايات عن كثرة الشعراء والقصائد كثرة هائلة فى العصر الجاهلى ، الذى لا يمتد فى الماضى ، على ما تقوله هذه الروايات نفسها ، اكثر من عدة اجيال قليلة قبل الاسلام ، وهو مالم يتحقق لبلاد الاغريق نفسها على رغم علو كعبها فى مضمار الحضارة(٣٨) . وهو يستبعد أن يكون الشعر الجاهلى قد حفظ

---

(٣٦) هذه المقالة عنوانها :

The Origins Of Arabic Poetry

وهى منشورة فى .

Journal Of the Royal Asiatic Society

شهر يولية ١٩٢٥/ص ٤١٧ — ٤٤٩ .

(٣٧) ص ٤١٩ — ٤٢٠ .

(٣٨) ص ٤٢٢ — ٤٢٣ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عن طريق الرواية الشفوية ، اذ لا يمكن ، فى نظره ، أن يكون هناك رجال مهنتهم حفظ الشعر وروايته . وكذلك فان الاسلام قد هاجم الشعر والشعراء مما لابد انه دفع المسلمين الى نسيان الشعر الجاهلى . ثم ان كثيرا من هذا الشعر يدور حول الحروب القبلية ، الأمر الذى كان من شأنه اثارة العصبيات وهو ما نهى عنه الاسلام . ومن هنا نبذ المسلمون هذا الشعر فلم يروووه(٣٩) . وكما استبعد أن يكون الشعر الجاهلى قد حفظ بالرواية الشفوية فانه يستبعد حفظه كتابيا . وهو يستند فى هذا الى نفى القرآن الكريم أن يكون عند العرب كتاب يدرسونه(٤٠) ، مع أنه لا صلة بين هذا وذاك ، اذ ان القرآن ينفى أن يكون لدى العرب كتاب سماوى لا انهم جميعا لم يكونوا يعرفون الكتابة والقراءة .

ومن الأسباب التى اتخذها مرجليوث ايضا ذريعة للشك فى الشعر الجاهلى ان هذا الشعر هو اكثر تطورا من القرآن الكريم ، اذ انه بطبيعة الحال يجعل القرآن الكريم من صنع الرسول عليه الصلاة والسلام ، والقرآن فى نظره ينتمى الى مرحلة ممهدة لظهور الشعر ، ولكنه لا يرقى الى أن يكون شعرا . وما دام الأمر كذلك فلا يمكن أن يكون الشعر الجاهلى قد سبق القرآن(٤١) . وهو يضيف الى هذا السبب أن رواة الشعر فى القرنين الثانى والثالث بعد الهجرة ليسوا أهلا للثقة ، كما تخبرنا الروايات التى أوردتها المراجع العربية نفسها عنهم ومنهم فى بعضهم البعض(٤٢) . على ان هناك ، فى رايه ، أسبابا أخرى غير هذه الأسباب يسميها بالأدلة الداخلية ، ويمكن تلخيصها على هذا النحو : أن فى الشعر الجاهلى اشارات الى قصص قرآنية ، والفاظا دينية اسلامية ، على حين لا نجد فيه جو الآلهة المتعددة

---

(٣٩) ص ٤٢٣ — ٤٢٤ .
(٤٠) ص ٤٢٤ — ٤٢٥ .
(٤١) ص ٤٢٥ — ٤٢٦ .
(٤٢) ص ٤٢٨ — ٤٣٤ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(بالنسبة للشعراء الوثنيين) ولا اشارة الى النصرانية وتعاليمها وكتابها الا فى الندرة(٤٣) . والى جانب ذلك هناك الاختلاف بين لهجات القبائل المتعددة ، وكذلك بين لغة الشمال والجنوب ، فأين هذه الاختلافات فى الشعر الجاهلى ، الذى نظم كله بنفس اللغة التى صيغ بها القرآن(٤٤) ؟ واخيرا فان بناء القصائد الجاهلية يدل على انها نظمت بعد ظهور القرآن ، الذى يقول مرجليوث عنه انه لما قال ان الشعراء يتبعهم الغاوون ، وانهم فى كل واد يهيمون ، وانهم يقولون مالا يفعلون جاء واضعو هذه القصائد وناحلوها للجاهليين فجعلوها تبتدىء بالغزل الحسى (أليس الشعراء يتبعهم الغاوون ، بما يدل على انهم هم انفسهم غاوون ؟) لتنتقل الى وصف رحلة الشاعر (تحقيقا لقول القرآن فى الشعراء انهم فى كل واد يهيمون) ، ثم تخرج من ذلك الى مبالغة الشاعر فى الحديث عن انجازاته وتضخيمها (تصديقا لرسم القرآن للشعراء بأنهم يقولون مالا يفعلون)(٤٥) . ويعود مرجليوث فيقول ان النقوش التى عثر عليها لا تحتوى على أى شعر من تلك الفترة ، ورايه انه اذا كانت الممالك الجاهلية التى خلفت لنا هذه النقوش لم تعرف الشعر ، فكيف نصدق أن الأعراب المتبدين كان لهم هذا الشعر الراقى المنسوب الى

---

(٤٣) ص ٤٣٤ — ٤٤٠ .

(٤٤) ص ٤٤٠ — ٤٤٣ .

(٤٥) ص ٤٤٣ — ٤٤٤ . ومن الواضح ان مرجليوث ، ان احسنا به الظن ، لم يفهم المقصود بهذه الآيات ، فهى لا تتحدث ، كما يفهم من كلامه ، عن غواية الجنس والهيمان فى أودية البادية ودروبها ... الخ ، بل تتحدث عن الشعراء الذين يوظفون فنهم فى نصرة الشر واتباع غواية الكفر ، والجرى فى أودية الوهم والضلال ، والتنفج والمبالغة فى القول دون ان يتبعوه بالعمل . وقد لاحظت أن الدكتور ناصر الدين الأسد ، على رغم عظمة الجهد الذى بذله فى كتابه « مصادر الشعر الجاهلى » ، قد اضطرب قليلا فى عرضه لهذه النقطة من أفكار مرجليوث ، وعزا ذلك الى غموض العبارة فى كلام هذا المستشرق ، مع أن هذا غير صحيح . انظر ص ٣٦٥ — ٣٦٦ من كتاب الدكتور الأسد .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الجاهلية ؟ علاوة على ان القرآن لم يذكر الموسيقى ، التى هى فى رأيه من مستحدثات العصر الأموى ، فكيف يمكننا تصور وجود وزن شعرى عند العرب بهذا الانتظام والوفـرة وهم لم يعـرفوا الموسيقى(٤٦) ؟ وفى النهاية يرى مرجليوث أننا اذا اردنا ان نعرف حالة العرب فى عصر البعثة النبوية فأمامنا القرآن(٤٧) .

فاذا ما انتقلنا الى النظر فى آراء طه حسين تأكد لدينا أن الأسباب التى استند اليها فى شكه فى الشعر الجاهلى لا تكاد تخرج عما قاله مرجليوث ، فهو فى فصل « مرآة الحيـاة الجاهلية يجب ان تلتمس فى القرآن لا فى الشعر الجـاهلى »(٤٨) ينكر ان يكون ما يسمى بالشعر الجـاهلى ممثلا للحيـاة الجاهلية ، التى لا يمكن دراستها الا من خلال نصوص القرآن . اليس هذا ما قاله مرجليوث(٤٩) ؟ وهو يرى ان هذا الشعر المسمى بالجاهلى لا يعكس لنا الحياة الدينية عند الجاهليين . وهذا قريب جدا مما قاله مرجليوث(٥٠) . غير أن أمانة العلم تلزمنا أن نوضح أن د. طه قد زاد هنا ان الشعر الذى يضـاف للجـاهليين لا يمثـل حيـاة العـرب السياسيـة او الاقتصـادية او المدنية(٥١) .

أما كلامه عن لغة الشعر الجاهلى وانها لا تمثل الاختلاف بين لغة الشمال ولغة الجنوب او الاختلاف بين لهجات القبائل المتعددة فهو فى خطوطه العامة

---

(٤٦) ص ٤٤٦ — ٤٤٨ .
(٤٧) ص ٤٤٩ .
(٤٨) فى الشعر الجاهلى/من ص ١٥ — ٢٣ .
(٤٩) ص ٤٤٩ من « مجلة الجمعية الآسيوية الملكية » .
(٥٠) ص ٤٣٤ — ٤٤٠ .
(٥١) انظر « فى الشعر الجاهلى »/ص ١٩ — ٢٣ .
(٥٢) وذلك فى فصلى « الشعر الجاهلى واللغة » و « الشعر الجاهلى واللهجات » من كتاب « فى الشعر الجاهلى » /ص ٢٤ — ٣٠ ، ٣٢١ — ٣٣٩ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هو نفسه ما قاله مرجليوث(٥٣) ، وان كان الدكتور طه قد خرج فى الفصل الأول من الفصلين المشار اليهما الى الحديث عن قصة سيدنا ابراهيم وسيدنا اسماعيل وهجرتهما الى مكة ... الخ وعدها اسطورة اخترعها العرب ، واستغلها القرآن للتقرب من اليهود ، مما لم يتناوله مرجليوث فى مقالته .

كذلك فان قوله ان الشعر الجاهلى لم يصلنا الا بالرواية الشفوية يشبه رأى مرجليوث ، الذى ينفى انتقال الشعر المنسوب الى الجاهليين الينا عن طريق الكتابة (٥٤) . أما بالنسبة للرواية الشفوية لهذا الشعر فان مرجليوث ينفى وجود حفاظ حرفتهم رواية الشعر فى ذلك الوقت ، وهو قريب من شك طه حسين فى مقدرة الحفظ والرواية على نقل هذا الشعر(٥٦) .

قد يقال ان الدكتور طه قد أتى بجديد حين أورد بين أسباب شكه أن علماء الاسلام قد دفعهم حرصهم على أن يستشهدوا بالشعر الجاهلى على ألفاظ القرآن والحديث والمذاهب الكلامية على وضع الشواهد المطلوبة وضعا(٥٧). ولكن بعض التفكير فى ما قاله الدكتور طه سوف يبين لنا أن ذلك متفرع من قول مرجليوث ان الشعر الجاهلى يتضمن ألفاظا دينية اسلامية(٥٨) .

ومع ذلك فقد أتى د. طه حسين بأشياء ليست عند مرجليوث . وفى

---

(٥٣) انظر ص ٤٤٠ ← ٤٤٣ .

(٥٤) ص ٤٢٤ — ٤٢٥ من مجلة الجمعية الآسيوية الملكية .

(٥٥) ص ٤٢٣ — ٤٢٤ من مجلة الجمعية الآسيوية الملكية .

(٥٦) انظر ص ٨٤ من فصل « الدين وانتحال الشعر » من كتاب « فى الشعر الجاهلى » حيث يتخذ من ورود شعر أمية بن أبى الصلت عن طريق الرواية سببا فى شكه فيه .

(٥٧) انظر ص ٣٨ — ٤١ من كتاب « فى الشعر الجاهلى » .

(٥٨) انظر ص ٤٣٥ — ٤٣٨ من مجلة الجمعية الآسيوية الملكية المذكورة .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المقابل نجد ان مرجليوث قد ذكر اشياء لم ترد عنـــد طه حسين : فمثلا فى « الكتاب الثانى » من كتابه « فى الشعر الجاهلى » يتحدث طه حسين عن اسباب انتحال (كذا) الشعر ، وهو مالم يتعرض له مرجليوث باستثناء آرائه الشفوية (كما قدمنا) ، وهى تشبه راى الدكتور طه . أما مرجليوث فقد ذكر أن الاســـلام ، لحـــرصه على دفن العصبيات ، كان من وراء اهمال المسلمين للشعر الجاهلى الملوءبالحديث عن الحروب القبلية التى كانت هذه العصبيات من ورائها تغذيها وتلهبها(٥٩) . كما اشار الى ان الشعر المسمى بالجاهلى لا يمكن الا أن يكون لاحقا للقرآن لا سابقا عليه ، وذلك لأنه فى نظره اكثر تطورا فنيا من القرآن(٦٠) . ثم انه قد استبعد وجود هذا العدد الضخم من الشعراء والقصائد فى العصر الجاهلى على حين لم يتحقق ذلك لبلاد الاغريق المتحضرة(٦١) . ويضاف الى ذلك ما ذكره من ان القرآن لم يشر الى وجود الموسيقى عنـــد العرب فكيف نصـــدق بوجود أوزان شعرية على هذه الدرجة العالية من الانتظام والتنوع(٦٢) ؟ وكذلك ما زعمه من ان نظام القصيدة الجاهليـــة يدل على انها صناعة اســـلامية قصـــد بها اثبـــات ما جاء فى أواخر سورة « الشعراء » عن هذه الطائفة(٦٣) . وهو مالم يتعرض له طه حسين .

نخلص من هذا الى ان مرجليوث والدكتور طه حسين يتفقان فى معظم البواعث الأساسية التى دفعتهما الى الشك فى صحة الشعر الجاهلى . وقد رأينا ان مرجليوث قد ذكر هنا اشياء لم يذكرها الدكتور طـــه . كذلك فان

---

(٥٩) انظر ص ٤٢٣ — ٤٢٤ من المجلة المذكورة .
(٦٠) انظر ص ٤٢٥ — ٤٢٦ من المرجع السابق .
(٦١) انظر ص ٤٢٢ — ٤٢٣ من المجلة السالفة الذكر .
(٦٢) ص ٤٤٦ — ٤٤٨ .
(٦٣) ص ٤٤٣ — ٤٤٤ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الدكتور طه لم يقف عند هذا الحد ، بل مضى نتحدث عن الأسباب التى يرى انها كانت وراء وضع الشعر ونحله للجاهليين ، وهو ما لم يتعرض له مرجليوث الا عرضا وفى نقطة واحدة ليس غير . بيد أن هذا القسم من كتاب الدكتور طه ما كان ليوجد لولا القسم الأول من الكتاب ، الذى يتشابه الى حد كبير مع ما قاله مرجليوث تشابها واضحا . فهذا القسم الأول هو الأساس . هذا ، ولم اذكر القسم الثالث من كتاب « فى الشعر الجاهلى » لانه عبارة عن دراسة تطبيقية على عدة شعراء جاهليين ، ونحن انما نتحدث هنا عن الأفكار النظرية . وايضا فانى احب أن اذكر القارىء انى ، لعدم اهتدائى الى الكتاب المطبوع فى باريس (١٨٨٠) الذى ذكر المرحوم الرافعى أن احدهم قد اخبره بأن الدكتور طه قد اعتمد فى دراسته للشعر الجاهلى عليه ، لا استطيع أن اعقد موازنة بينه وبين وبين كتاب « فى الشعر الجاهلى » .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هل كان طه حسين على علم بمقالة مرجليوث فى الشعر الجاهلى ؟

والآن ، كيف نفسر هذا التشابه فى أساسيات فكرة مرجليوث وفكرة طه حسين ؟ ان الرافعى قد اتهمه بسرقة مرجليوث وهو أول من سجل هذا الاتهام مكتوبا فيما نعرف (كما قلنا سابقا) . والحقيقة أن كثيرا ممن جاءوا بعده يرون هذا الراى ، وان عبر كل منهم عنه بطريقته الخاصة(٦٤) . ومع ذلك فان الدكتور ابراهيم عبد الرحمن ينفى نفيا قاطعا ان يكون طه حسين قد تأثر بمرجليوث فى أى شىء . كذلك هناك عبد الرشيد الصادق ، الذى يقدم نظرية جديدة فى هذا الموضوع مؤداها ان طه حسين لم يتأثر بمرجليوت بل برينان . ثم هناك د. عبد الرحمن بدوى ودفاعه عن طه حسين . وسوف نناقش فيما يلى هذه المسألة .

يقول د. ابراهيم عبد الرحمن(٦٥) : « تجددت حملة التهجم على طه

---

(٦٤) انظر د. ناصر الدين الأسد/مصادر الشعر الجاهلى/ص ٣٨٠ ، ٤١١ وكذلك ص ٤١١ ، ٤١٢ حيث يشير د. الأسد الى اتهامات محمد أحمد الغمراوى ومحمد الخضر حسين للدكتور طه حسين باحتذاء مرجليوث. وانظر د. شوقى ضيف/العصر الجاهلى/ص١٧٥ حيث يقرن فى نقده لغلو المحدثين فى شكهم فى الشعر الجاهلى بين مرجليوث وطه حسين قرنا ذا مغزى. وانظر كذلك اشارة د. احمد كمال زكى الى محاولة د. طه حسين أن يثبت مساواته لمرجليوث فى الاستنباط وفهم دلالات الأخبار . وتنبه لحرصه على أن يوضح تاريخى صدور بحثى مرجليوث وطه حسين مما له دلالته/طه حسين كما يعرفه كتاب عضره/ص ١٧٢ ، ١٨٨ . وانظر الأستاذ محمود شاكر/ المتنبى/السفر الأول/ص ١٥ — ٢٦ ، ود. عفت الشرقاوى/دروس ونصوص فى قضايا الأدب الجاهلى/ص ٨٦ — ٨٧ .

(٦٥) الأهرام/عدد الجمعة ١٩٨٦/٢/٧ . الصفحة الأدبية تحت عنوان/ الى خصوم طه حسين ومؤيديه : النص الكامل لمقالة مرجليوث فى براءة عميد الأدب العربى .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حسين اخيرا فى بعض الكتابات المصرية ، وهو ما يجعل منها ظاهرة مقلقة فى ثقافتنا المعاصرة . **ومصدر القلق اننا نبيح لانفسنا الحكم على الاشياء عن طريق ((السماع))** فنقع لذلك فى احكام ظالمة وغير صحيحة . **ولو اخذنا انفسنا الى الأصول لقراءاتها وتحليلها لجاءت احكامنا صحيحة ومنصفة .**

وفى موضوع طه حسين والشعر الجاهلى أرشح لهذه القراءة ثلاثة اعمال نبدأ بأحدثها ، وهو رأى مرجليوث فى كتاب « فى الأدب الجاهلى » المنشور فى مجلة الجمعية الملكية الآسيوية — اكتوبر ١٩٢٧ . ولهذا الرأى اهميته وخطورته لأنه اولا : يمثل وجهة نظر لا تزال غير معروفة للذين كتبوا عن طه حسين ، ولأنها (كذا) ثانيا : صادرة عن طرف اصيل فى هذه القضية **المزعومة** ، قضية « سطو » طه حسين على اعمال المستشرقين » . ثم يترجم الدكتور مقال مرجليوث ، ثم يعقب عليه بقوله ان « اتهام طه حسين بالسطو على افكار مرجليوث ... حمل هذا المستشرق على ترتيب أفكاره فى هذه المقالة ترتيبا علميا دقيقا يتمثل فى شيئين : الأول حقيقة ثابتة ، وهى ان العملين **كليهما** قد نشرا فى وقت واحد تقريبا ، وأن كلا من الكاتبين ... قد توصل الى آرائه مستقلا تماما عن الآخر . والثانى ان آراء مرجليوث فى الشعر **تناقض** آراء طه حسين . فمرجليوث ينكر أن يكون الجاهليون قد عرفوا نظم الشعر ، وأن ما وصل الينا منه من صنع الشعراء المسلمين الذين احتذوا لغة القرآن ، بينما يذهب طه حسين الى الثقة فى وجود شعر جاهلى ، ولكن يتشكك فى صحة كثير من نصوصه التى وصلت الينا وكانت بسبب الرواة عرضة للوضع والتحريف... الخ » .

والحقيقة ان مرجليوث مجرح فى شهادته ، وهو عندى ليس افضل بل اسوأ من هؤلاء العاطلين الذين يتجمعون عند ابواب المحاكم فى انتظار من يطلبهم للشهادة بالأجرة ، فينصرون الباطل على الحق ، وكله بالفلوس . وحتى لا يظن بعض اننى متجن على هذا المستشرق اذكرهم بما سبق أن دللت عليه (فى هذه الدراسة) من خيانته لأمانة العلم ، اذ يملى له حقده أن يضع يديه على عينيه كيلا يرى حقائق التاريخ فيرمى رسولنا الكريم بأنه « شيخ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

منسر » وانا لا ينبغى أن نثق كثيرا بما يقول،وغير ذلك مما يدل دلالة جازمة على ان هذا الرجل فاقد العدالةغير أهل للشهادة.ويضاف الى ذلك هذه المبادرة المريبة الى نفى اسبقيته على طه حسين ، وعهدنا بالمبدعين أن يحرصوا على اثبات سبقهم بكل سبيل حتى فى التافه واليسير من الأمر ولو كان صورة بيانية طريفة أو اشتقاقا جديدا مثلا . ان هذه اول مرة ، فيما أذكر ، أسمع فيها بكاتب ينفى أن يكون كاتب آخر قد تأثر به رغم تشابه فكرة هذا الكتاب مع فكرته.والسؤال الآن : على اى اساس عرف مرجليوث أن طه حسين لم يتأثر بما كتبه هو وقد كان بينهما آلاف الأميال وبحار وجبال ووهاد ومدن وقرى لا يحصيها الا خالقها ؟ أيكون مرجليوث من أهل الخطوة ونحن لا ندرى ؟ الا يرى القارىء معى أن شهادة هذا الشاهد « المتبرع » بشهادته دون أن يطلب اليه احد ذلك هى شهادة مجرحة ساقطة ؟ قد يقول بعض الذين يثقون بمرجليوث : أن هذا كلام نظرى ، ولا مانع أبدا أن تكون هذه خيانته لأمانة العلم فيما يتعلق بمحمد (هذا اذا عدوها خيانة !)،ومع ذلك يشهد فى حق طه حسين شهادة عادلة » . ومع أن هذا المنطق غير مقبول لدى ، لأن ما ذكرته عن هذا المستشرق كاف عندى تماما لرفض شهادته المريبة ، فانى اقول ، لا « على السماع » بل بالدليل الموثق الذى يصك هذا المرجليوث الكيذبان فى وجهه صكا : انك يا مرجليوث حين تقول أن بحثك عن « أصول الشعر الجاهلى » قد نشر فى مجلة الجمعية الملكية الآسيوية فى الوقت نفسه تقريبا الذى ظهرت فيه طبعة كتاب «فى الشعر الجاهلى» انما انت كاذب كاذب كاذب (كاذب بالثلث) ، فأنت تعلم جيدا انك نشرت بحثك فى المجلة المذكورة فى يولية ١٩٢٥ وان طه حسين قد فرغ من تأليف كتابه فى أواخر مارس ١٩٢٦(٦٦) . فاذا اضفنا شهرا مثلا للطباعة كان بين ظهور بحثك

---

(٦٦) انظر أسفل ص ١٨٣ من كتاب/فى الشعر الجاهلى حيث يؤرخ طه حسين فراغه من تأليف الكتاب بـ « ١٨ مارس سنة ١٩٢٦ » ، وكذلك أسفل صفحة الاهداء حيث يؤرخ كلمته الموجهة الى ثروت باشا رئيس

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وظهور كتاب الدكتور طه حسين عشرة شهور ، أى قريب من سنة ، فكيف تقول عن كتابين بينهما هذه المسافة الزمنية انهما قد ظهرا فى نفس الوقت تقريبا ؟ ان هذا كذب بواح ، فعلام يدل ذلك(٦٧) ؟

وثمة دليل آخر على أن هذا المستشرق كذاب لا تقبل شهادته ، هو قوله « ان طبعة الكتاب الأول » (يقصد كتاب « فى الشعر الجاهلى ») ... قد سحبت من التداول لاحتوائها على بعض الفقرات التى يظن أن فيها مساسا بالقرآن »(٦٨) ألا يعرف مرجليوث أن تلك الفقرات المشار اليها تخالف فعلا (لا ظنا) القرآن الكريم ؟ اننى لا احجر على أحد أن يعتقد أو يقول ما يشاء ، بيد أن هذا شىء والتغطية على معتقدات هذا « الأحد » وآرائه شىء آخر ليس من أمانة العلم ولا القلم فى كثير ولا قليل .

ربما قال قائل : اننا نسلم بكذب مرجليوث وبأن الكتابين تفصل بين صدورهما فعلا عشرة شهور ، ولكن ما يدريك ؟ لعل المقالة لم تصل الى مصر الا بعد ظهور كتاب الدكتور طه . غير أن قائل هذا الكلام ينسى اننا نعلم على وجه اليقين أن عدد يولية ١٩٢٥ من مجلة الجمعية الملكية الآسيوية قد وصل مصر قبل صدور كتاب طه حسين بل قبل بدء العام الدراسى ومحاضرات الدكتور فى الشعر الجاهلى بوقت كاف جدا ، اذ اخبرنا الرافعى أن صاحب المقتطف قد اخبره فى سبتمبر ١٩٢٥ قبل فتح الجامعة ابوابها للسنة الجديدة

الوزارة بـ « ٢٢ مارس سنة ١٩٢٦ ».وانظر كذلك اشارة زوجته فى كتابها « معك » /ص ٧٨ الى انه انتهى من كتابه فى مارس ١٩٢٦ وانه كان بدأ كتابته فى يناير من نفس العام .

(٦٧) انظر ايضا سامح كريم/وثيقة جديدة لمرجليوث تبرىء عميد ادبنا من اتهام استمر ٦٠ عاما/الصفحة الأدبية من اهرام الجمعه ١٩٨٦/١/١٧ حيث يردد رأي د. ابراهيم عبد الرحمن الموجود فى كتابه « بين القديم والجديد» ص ٤٤٠ — ٤٤٢ .

(٦٨) أهرام ١٩٨٦/٢/٧ الصفحة الأدبية .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بخبر مقالة مرجليوث ولخص له بعض ما فيها من افكار(٦٩) . والرافعي كما تعلم كان يعيش فى طنطا ، وليس قريبا من صروف يقابله باستمرار حتى يقال انه اخبره بخبر المقالة تو وصولها ، اى انه لابد انه يكون قد مر على وصول عدد المجلة الذى يتضمن المقالة بعض الوقت . كذلك يخبرنا الأستاذ شاكر بأن نسخة من هذا العدد قد وقعت فى يده قبل بداية العام الدراسى بوقت طويل .صحيح انه لم ينص على أن ذلك كان قبل بداية العام الدراسى « بوقت طويل » بصريح العبارة ، ولكن قوله : « ومرت الأيام ، وغاص كلام هذا الأعجمى فى لجج النسيان »(٧٠) ، ثم قوله بعد ذلك : « كان ماكان ، ودخلنا الجامعة ، وبدأ الدكتور طه يلقى محاضراته التى عرفت بكتاب « فى الشعر الجاهلى » . ومحاضرة بعد محاضرة ، ومع كل واحدة يرتد الى رجع من كلام هذا الأعجمى الذى غاص فى يم النسيان(٧١) له مغزاه . أن نص الأستاذ شاكر مرتين على انه كان قد نسى افكار مقالة مرجليوث عندما بدأ الدكتور طه محاضراته المذكورة يدل على أن قراءته لمقالة مرجليوث كان قد مر عليها وقت طويل ، وهو ما يجعلنى أعتقد أن العدد المذكور من المجلة الانجليزية قد أرسل فور صدوره الى مصر للمشتركين فيها ولمشاهير العلماء والكتاب كيعقوب صروف وكأحمد تيمور ، الذى أعطى نسخته لشاكر ليقرأها . فاذا عرفنا أن المجلة تصدر فى لندن ، أى عاصمة عواصم العالم فى ذلك الوقت وعرفنا الدقة الانجليزية (وبخاصة ان المجلة تصدر عن أكبر هيئة علمية فى مجالها) وعرفنا مدى انضباط وانتظام البريد الانجليزى (وبالذات فى تلك الأيام) تبين لنا أن المجلة لابد أن تكون قد أرسلت الى مصر فور صدورها ، وان وصولها لم يستغرق الا وقت البريد فقط ، وهو لا يزيد عن أيام معدودات. ولتوضيح ذلك أحيل القارىء على التاريخ الذى كتب فيه د. طـــه حسين

---

(٦٩) انظر تحت راية القرآن/ص ١٧٧ .

(٧٠) شاكر/المتنبى/السفر الأول/ص ١٥ ، ١٧ .

(٧١) المرجع السابق/ص ١٨ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مقدمة كتابه « فى الأدب الجاهلى » وهو ١١ مايو ١٩٢٧ ، وعدد المجلة المذكورة الذى ظهر فيه عرض مرجليوث لهذا الكتاب ، عدد يوليه ١٩٢٧(٧٢). فاذا قدرنا لطبع الكتاب شهرا مثلا ، فمعنى ذلك انه قد ظهر فى النصف الأول من يونيه ١٩٢٧ . كذلك اذا قدرنا أن قراءة مرجليوث له وكتابته لعرضه قد استغرقتا نحو عشرة أيام ، فانه لا يبقى بين صدور الكتاب ووصوله الى يد مرجليوث فى بريطانية الا عدة أيام ، هى المدة التى يستغرقها البريد بين مصر وبريطانيا . وهو ما يؤكد ان انتقال المجلة المذكورة فى الاتجاه المعاكس (أى من بريطانية الى مصر) لم يستغرق الا أياما معدودة كما قلنا .

ولعل بعضا يقول : ربما لم تصل الى مصر الا هاتان النسختان . ولكن قائل هذا يتجاهل انه كان فى مصر فى ذلك الوقت ، بحكم الاحتلال على الأقل ، اعداد كبيرة من المستشرقين والمثقفين الأوربيين المهتمين بما تنشره هذه المجلة وأمثالها من المباحث . وكان فى كلية الآداب وحدها عدد من الأساتذة الأوربيين المستشرقين الذين يلقاهم طه حسين صباح مساء فى الجامعة ويزورونه فى بيته على الأقل فى الأسبوع مرة (كما سبق أن عرفنا من السيدة زوجته)(٧٣)، فهل من المعقول أن نظن أن كلا من أحمد تيمور ويعقوب صروف يحصل على نسخة من هذه المجلة (هدية أو اشتراكا أو من أى سبيل آخر) ولا يحصل عليها أولئك المستشرقون والأساتذة الأجانب الذين كانوا حول طه حسين فى الجامعة وفى بيته ، وهذه المجلة انما انشئت بجهود هؤلاء المستشرقين ومن أجلهم ، يحررونها ويقراونها ؟ واذا وصلت الى أيدى هؤلاء ، ولابد أن تصل وتكون بين أيديهم اثر صدور كل عدد منها بأيام قليلة هى المدة التى يستغرقها البريد كما قلت ، فهل سيكتمون ما فيها من علم عن طه حسين وهو زميلهم وصديقهم الحميم المتحمس لهم ولحضارتهم وآدابهم ونظرياتهم وأفكارهم ؟

---

(٧٢) ص ٩٠٢ — ٩٠٥ .

(٧٣) « معك » ص ٧٤ — ٧٥ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لم ترى يعقوب صروف والمرحوم احمد تيمور احرص على اطلاع الرافعى وشاكر (وشاكر كان فى ذلك الوقت تلميذا على مشارف الجامعة) على ما قال مرجليوث ، من هؤلاء المستشرقين والأساتذة الأجانب أصدقاء طه حسين على اطلاعه عليها ؟ وحتى لو افترضنا جدلا انهم لم يخبروه من تلقاء انفسهم بخبرها ولم يترجموها له ، اليس اتفاق مجلس الجامعة على أن يدرس هو الأدب العربى فى هذا العام الدراسى التالى لظهور مقالة مرجليوث يجعلنا نعتقد انه لابد ان يكون قد سأل وبحث عن المراجع اللازمة لتدريس تاريخ الشعر الجاهلى وان بعضهم قد أخبره بهذه المقالة باعتبارها آخر ما ظهر واحدث صيحة فى دوائر المستشرقين فى عالم النظريات الأدبية ؟

ان للدكتور ابراهيم عبد الرحمن موقفا فى هذه المسألة يحسن ايراده هنا . انه مثلا يذكر(٧٤) أن مقالة مرجليوث ظهرت فى يولية ١٩٢٥ وكتاب طه حسين « بعد ذلك بشهور ، فى أوائل ١٩٢٦ » (وان لم يحدد الشهر الذى ظهر فيه الكتاب ، وقد قلت انه ابريل على أسرع تقدير) . وهو ما تجاهله عند ترجمته لمقالة مرجليوث والتعليق عليها فى عدد الأهرام ١٩٨٦/٢/٧ ، على ما مر بنا ، بل تجاهله ايضا فى نفس كتابه السابق (بعد ذلك بصفحة واحدة) حين ساق ترجمة جزء من عرض مرجليوث لكتاب « فى الأدب الجاهلى » وفيها ، كما نعرف ، أن البحثين قد ظهرا فى نفس الوقت تقريبا ، وكان ينبغى على الدكتور ابراهيم ان يوضح ان المستشرق هنا يكذب ، لأن فرق عشرة شهور (على الأقل) لا يوصف بأنه « نفس الوقت تقريبا » . كذلك يلاحظ انه فى الجزء الذى ترجمه من عرض مرجليوث المذكور (أم ترجمه د. عبد الله المهنا ؟)(٧٥) قد وردت هذه العبارة (من كلام مرجليوث طبعا) عن كتاب طه حسين : « وفكرة الكتاب مشابهة لتلك الفكرة التى أدرت حولها

---

(٧٤) فى كتابه « بين القديم والجديد »/ص ٣١٤ — ٤٤٠ .

(٧٥) انظر « بين القديم والجديد »/ص ٤٤٠ — ٤٤١ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بحثى عن « اصول الشعر العربى »(٧٦) ، على حين ان هذه العبارة فى الترجمة الكاملة لعرض مرجليوث ، التى نشرت فى اهرام ١٩٨٦/٢/٧ قد اصبحت : « وفكرة الكتاب مماثلة الى حد كبير للفكرة التى ادرت حولها بحثى عن « اصول الشعر الجاهلى »(٧٧) . وليس من شك فى ان هناك فرقا كبيرا بين الكلامين . ومع ذلك فقد تجاهل الدكتور أن يعلق بما يكشف عن السر فى ذلك .

وهذا يقودنا الى ما ذكره تعليقا على عرض مرجليوث من أن اتهام طه حسين بالسطو على أفكار مرجليوث ... حمل هذا المستشرق على ترتيب افكاره فى هذه المقالة ترتيبا علميا دقيقا يتمثل فى شيئين : الأول حقيقة ثانية وهي ان العملين كليهما قد نشرا فى وقت واحد ... الخ (وهذه قد فرغنا من اظهار ما فيها من كذب) ، والثانى أن آراء مرجليوث فى الشعر تناقض آراء طه حسين ، فمرجليوث ينكر أن يكون الجاهليون قد عرفوا نظام الشعر ... بينما يذهب طه حسين الى الثقة فى وجود شعر جاهلى ولكنه يتشكك فى صحة كثير من نصوصه ... وهو لذلك يلح فيما يسميه مرجليوث الجزء البناء من كتابه على استكشاف مقياس نقدى للتمييز بين الشعر الصحيح (كذا) » . وسؤالنا هو : هل قال مرجليوث هذا ؟ هل قال مرجليوث أو فهم من كلامه على الأقل ان آراءه فى الشعر الجاهلى تناقض آراء طه حسين ؟ أن مرجليوث قد ذكر بنص ترجمة الدكتور ابراهيم عبد الرحمن لن « فكرة الكتاب (يقصد كتاب « فى الشعر الجاهلى ») مماثلة الى حد كبير للفكرة التى ادرت حولها بحثى عن « اصول الشعر الجاهلى »(٧٨) . » اذن فمفكرتا البحثين متماثلتان ، والى حد كبير ، لا متناقضتان كما جاء فى تعقيب الدكتور

---

(٧٦) السابق/ص ٤٤١ .

(٧٧) عبارة الأصل الانجليزية هى :

انظر عدد يولية ١٩٢٧ من مجلة الجمعية الآسيوية الملكية/ص ٢٠٠ .

(٧٨) اهرام الجمعة ١٩٨٦/٢/٧ الصفحة الأدبية .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ابراهيم . هذه واحدة ، أما بالنسبة للجزء البناء (كما سماه مرجليوث) ، وهو الجزء الذى يحاول طه حسين فيه ان يرسى اسسا جديدة لتمحيص صحيح الشعر الجاهلى من زائفه ، فلنسمع مرة اخرى ما قاله هذا المستشرق فيه . قال : « ولكن قيمة هذه النظرية (يقصد وجود مدارس شعرية ، فى راى طه حسين ، قرب ظهور الاسلام) قد اهتزت الى حد ما بتاكيد المؤلف ان كثيرا من الشعر المنسوب الى هؤلاء الشعراء (يقصد مدرسة اوس بن حجر ، التى تنتهى بجميل بثينة) شعر موضوع ، وملاحظة ان القصة الوحيدة الباقية عن اوس من صنع خيال سقيم ، وان الرواة الذين وصل الينا عن طريقهم خبر هذه الصلة الفنية بين شعراء هذه المدرسة يفصل بينهم وبين آخرهم زمن طويل . ولذلك فان النقض من نظرية طه حسين لا يزال اقوى أجزاء الكتاب واكبرها تاثيرا فى الدراسات الأدبية فى العالم العربى (وهذه ايضا غير صحيحة ، فقد راينا كبار الدارسين لتاريخ الأدب العربى يرفضون هذه النظرية المتهافتة) .

اذن فليس تناقض بين الكتابين على الاطلاق ، ولا قال بهمذا مرجليوث . وكيف يقول بهذا فى الوقت الذى لا يوجد فيه الا فرق ضئيل بين فكرته وفكرة طه حسين ، اذ ان هذا الأخير وان لم ينف الشعر الجاهلى كله قد ضيق الباب تضييقا شديدا فلم يسمح بمرور شىء من هذا الشعر الا ببالغ الصعوبة ؟ الطريف أن الدكتور ابراهيم ، الذى قال فى اهرام ١٩٨٦/٢/٧ ان آراء مرجليوث تناقض آراء طه حسين هو نفسه الذى كان قد قال قبل ذلك فى كتابه « بين القديم والجديد » ان آراء طه حسين ومرجليوث قد تشابهت وان لم تتطابق تماما . ومرة اخرى نراه لا يهتم بتوضيح هذا الاضطراب .

سيقول الأستاذ الدكتور : ولكن « ليس هناك شك فى ان تاليف طه حسين لهذا الكتاب قد مر ، مثل اى كتاب يؤلفه اى كاتب ، بمراحل معينة لها اهميتها فى الكشف عن طبيعة الصلة بين كتابه وبحث مرجليوث . فقد بدأ بتدريسه ، كما يقول الأستاذ شاكر ، للطلاب فى شكل محاضرات ظل يرددها على مسامعهم عاما بعد عام ، حتى اذا ثبت له صحة ما انتهى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

اليه فى رواية هذا الشعر اذاعه على الناس فى شكل كتاب »(٧٩) . ويؤسفنى ان اقول ان الأستاذ شاكر لم يقل هذا ولا يمكن ان يقول هذا ، والا فانه يكون قد كذب نفسه بنفسه ، اذ هو قد اتهم الدكتور طه حسين امام زملائه الطلبة فى سنة ١٩٢٦ ، ولا يزال يتهمه حتى الآن ، بانه سطا على افكار مرجليوث . وقد كان من اثر ايمانه بهذا الاتهام ان ترك كلية الآداب والجامعة كلها ولم يكمل تعليمه الرسمى . وعلى رغم انى قد اشرت قبلا الى كلام الأستاذ شاكر فى هذه النقطة واوردت بعضه فانى سأسوقه هنا ثانية لأهميته فى الرد على هذه الدعوى الخطيرة التى ان صحت لقلبت القضية راسا على عقب . قال الأستاذ شاكر عن لقائه بالأستاذ احمد تيمور ، الذى اعطاه فيه مجلة الجمعية الملكية الآسيوية (عدد يولية ١٩٢٥ المنشورة فيه مقالة مرجليوث) : « جاء يوم فالتقينا ، على عادتنا يومئذ (سنة ١٩٢٥) ، فى المكتبة السلفية عند استاذنا محب الدين الخطيب ، فلم يكد يجلس حتى مد يده الى بعدد من مجلة انجليزية (عدد يولية ١٩٢٥ من مجلة الجمعية الملكية الآسيوية) ، وقال لى وهو يبتسم : اقرأ هذه ! فاذا فيها مقالة للأعجمى المستشرق مرجليوث تستغرق نحو اثنتين وثلاثين صفحة من هذه المجلة ، بعنوان « نشأة الشعر العربى » ... ثم بعد أيام لقيت أحمد تيمور باشا ، واعدت اليه المجلة ... ومرت الأيام وغاص كلام هذا الأعجمى فى لجج النسيان ... (الى ان يقول :) كان ما كان ، ودخلنا الجامعة ، وبدا الدكتور طه يلقى محاضراته التى عرفت بكتاب « فى الشعر الجاهلى » . ومحاضرة بعد محاضرة ، ومع كل واحدة يرتد الى رجع من كلام هذا الأعجمى الذى غاص فى يم النسيان »(٨٠) . لا جدال فى ان الفرق بين كلام الأستاذ شاكر وما نسبه اليه الدكتور ابراهيم عبد الرحمن واضح تمام الوضوح وخطير جد خطير . وهو يعنى ان الأستاذ شاكر لم يقل من قريب او من بعيد ان الدكتور

---

(٧٩) بين القديم والجديد/ص ٤٤٠ .

(٨٠) المتنبى/السفر الأول/ص ١٥ — ١٦ ، ١٧ ، ١٨ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

طه كان يحاضر فى موضوع الشعر الجاهلى عاما بعد عام . وكيف يمكن ان يقول ذلك وطه حسين لم يحاضر فى موضوع الشعر الجاهلى ، بل لم يحاضر فى اى موضوع من مواضيع الأدب العربى فى الا فى السنة الدراسية ٢٥ — ١٩٢٦،حين تحول من تدريس التاريخ اليونانى والرومانى الى تاريخ الأدب العربى(٨١) ؟ بل انه حتى فى مقالاته عن الأدب العربى التى كتبها قبل هذا التاريخ والتى نشرها بعد ذلك فى « حديث الأربعاء » ليس فيها ولا مقالة واحـدة عن الشعر الجاهلى . انما ابتدأ يتناول بالتحليل والتذوق قصائد جـاهلية منذ سنة ١٩٣٥ ، اى أن الشعر الجاهلى قبل العـام الدراسى ٢٥ — ١٩٢٦ لم يشغل طه حسين ولا حاضر فيه ولا كتب عنه ، على خلاف مرجليوث (وهذه نقطة هامة جدا) ، الذى كان مشغولا بهذا الموضوع منذ سنة ١٩٠٥ على الأقل ، عندما أصدر كتابه Mohammed and the Rise of Islam الذى وردت فيه عبارة تلخص نظريته فى الشعر الجاهلى تلخيصا محكما فى كلمات قلائل ، هذا نصها بالانجليزية : The early Poetvy is Largely fabricat on modelled on the Koran (٨٢)

(ومفادها انه يرى أن الشعر القديم (يقصد الجاهلى) ملفق الى حد كبير على غرار القرآن)(٨٤) ، والذى ظل مشغولا به الى ان كتب مقالته المذكورة ، بدليل انه عاد فلمس هذا الموضوع مرة اخرى وابدى شكه فى صحة الشعر الجاهلى فى مقالة يعرض فيها كتاب « الخصـائص » لابن جنى وذلك سنة ١٩١٦(٨٥) ، وكذلك فى مادة « محمد » ، التى كتبها لـ Encyclopaedia of Religion and Ethics حيث يقول ما ترجمته « ومن ... غير المحتمل

---

(٨١) انظر سـامح كريم/ماذا يبقى من طـه حسين/ص ٨١ ، ١٤٢ ود. عبد الرحمن بدوى/الى طه حسين فى عيد ميلاده السبعين/ص ١٤ .

(٨٢) قارن تواريخ مقالات القصائد الجاهلية مع مقالات القصائد الأموية فى هامش الصفحة الأولى من كل مقال ، وسوف يتبين لك هذا .

(٨٣) ص/٦٠ .

(٨٤) انظر أيضا د. ناصر الدين الأسد/ص ٢٥٢/ هـ ١ .

(٨٥) انظر د. ناصر الدين الأسد/الموضع نفسه .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أن يمثل الشعراء والعرافون الذين سبقوا محمدا (عليه الصلاة والسلام) مرحلة من التعليم ارقى . من هنا ، وبناء على التسلسل الطبيعى ، يبدو أن اسلوب القرآن يتوسط بين الشخشخات الساذجة التى كانت تؤخذ فى جزيرة العرب على انها نظم للشعر وبين تلك القصائد المصنوعة الى حد كبير التى نقابلها فى العصر الأموى . ويترتب على ذلك أن الشعر الجاهلى ايضا ، ذلك الشعر الذى ينتمى ظاهريا الى عصر النبى والخلفاء الراشدين هو شعر موضوع ... الخ »(٨٦) ، أى أن طه حسين لم يسبق له قبل العام الدراسى ٢٥ — ١٩٢٦ أن شغله الشعر الجاهلى ، على عكس مرجليوث الذى كانت بذور نظريته موجودة فى ذهنه بحيث انه كلما تناول موضوعا متصلا بالشعر الجاهلى نبتت من هذه البذور اعشاب . وما ان انتصف عام ١٩٢٥ حتى راى المتابعون للدراسات الاستشراقية (ولا شك عندى أن طه حسين بوصفه واحدا من هؤلاء المتابعين قد راى معهم) هذه الأعشاب قد تكاثرت وانتشرت واستطالت سيقانها واصبحت نظرية مفصلة تقع فى أكثر من ثلاثين صفحة من مجلة الجمعية الملكية الآسيوية فى ذلك الحين (وهو ما يقابل ثلث كتابه « فى الشعر الجاهلى » تقريبا ، لأن هذه الصفحة تساوى صفحتين او اقل قليلا من صفحات هذا الكتاب) ، بل انى ارجح أن الدكتور طه كان على علم بهذه النظرية فى مرحلتها الجنينية ، فقد كان متصلا ببيئة المستشرقين فى فرنسا وبعد عودته منها ، والمستشرقون عالم متصل بعضه ببعض اتصالا وثيقا ، عن طريق الندوات والمؤتمرات والمراسلات والدوريات وتهادى الكتب ، الى جانب العلاقات الشخصية والزيارات . وليس من المعقول أن مرجليوث لم يكن يتكلم مع زملائه واصدقائه من المستشرقين شفاها او كتابة عن نظريته هذه بشىء من التفصيل ، ولو ليسألهم العون او على الأقل ليستانس بآرائهم ، بل أغلب الظن انه كان يحاضر فيها طلابه فى جامعة

---

(٨٦) انظر د. ناصر الدين الأسد/الموضع السابق حيث يشير الى موضع هذا النص ، ولكنه لا يورده .

اكسفورد ، بل أن من الجائز جدا ان يكون مرجليوث قد اتم مقالته المذكورة قبل يولية ١٩٢٥ (تاريخ صدورها) بوقت (طويل او قصير) . اذ ليس شرطا ان ينشر الكاتب انتاجه بمجرد الفراغ منه . واغلب الظن ايضا ان اصداء من هذا كله كانت تبلغ اذن طه حسين .

وثمة سبب آخر جد هام يجعلني استبعد عدم اطلاع طه حسين على بحث مرجليوث وتاثره به ، وهو ان الدوافع التى يلتقيان عليها فى الشك فى الشعر الجاهلى ليست مما يدخل فى باب « توارد الخواطر » ، بل تحتاج الى ذهن مركب تركيبة خاصة كذهن مرجليوث ، الذى كان يتشكك فى كل شيء يتصل بالاسلام والادب العربى ، ولذلك ما كان يقع على الحبة حتى يجعل منها قبة . فاذا قال القدماء ان فى الشعر الجاهلى قصائد منحولة جاء هو وقال : بل كله منحول ، وهكذا . كذلك فان ما خالف به الدكتور طه حسين مرجليوث فى اصل فكرته ، اعنى استثناءه من شكه بعض الشعر الجاهلى ، هو شيء جد ضئيل لا يؤبه به . وعلاوة على ذلك فان قيمة هذا الجزء من فكرة طه حسين ، بنص كلام مرجليوث ، الذى يعده بعض الباحثين « صك غفران » لطه حسين (ناسين ان البابا الذى اصدره هو باب اثيم لاثقة فى احكامه ، فضلا عن انه لاحق له اصلا فى اصدارها) « قد اهتزت الى حد ما ، بتاكيد المؤلف ان كثيرا من الشعر المنسوب الى هؤلاء الشعراء شعر موضوع، وملاحظة ان القصة الوحيدة الباقية عن اوس من صنع خيال سقيم ، وان الرواة الذين وصل الينا عن طريقهم خبر هذه الصلة الفنية بين شعراء هذه المدرسة يفصل بينهم (كذا) وبين آخرهم زمن طويل ، ولذلك فان جزء النقض (يعنى الجزء الذى يوافق فيه مرجليوث) لا يزال اقوى اجزاء الكتاب » .

---

(٨٧) د. ابراهيم عبد الرحمن/الى خصوم طه حسين ومؤيديه . النص الكامل لمقالة مرجليوث فى براءة حميد الادب العربى/اهرام الجمعة ١٩٨٦/٢/٧ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والحقيقة أن طه حسين فى هذا الجزء لم يقدم شيئا يدخل العقل ويبدو متناقضا مع نفسه ، أى أنه حين يتبعد عن مرجليوث لا يستطيع أن يصنع شيئا ، مما يدل على أنه قد استقى فكرته الأساسية وكثيرا من تفصيلاتها من هذا المستشرق .

اما اتكاء الصحفى سامح كريم على ما نسبه الى الدكتور حسين نصار من أن طه حسين لم يكن يعرف الانجليزية ، ومن ثم فانه لم يترجم ما فى مقالة مرجليوث ويتأثر بها فهو آخر شىء يمكن أن يتوقعه الباحث(٨٨) . وأقل ما يوصف به هذا الدفاع هو انه هزل ليس بالجد ، اذ من قال ان الانسان لا يستطيع أن يعرف شيئا الا اذا كان على علم باللغة التى كتب بها ذلك الشىء ؟ ان معظم الناس يعرفون اشياء كثيرة من آداب الأمم المختلفة وافكارها وهم لا يعرفون الا لغة قومهم . وليس شرطا أن يكون ذلك عن طريق الترجمة، بل ما اكثر ان يتم طريق العرض والتلخيص مثلا ، وقد يكون ذلك شفويا (فى ندوة أو محادثة ... الخ) . ثم انى أسأل سؤالا واحدا : وهل كان الرافعى يعرف الانجليزية ؟ والجواب بالطبع : كلا . أفنكر اذن معرفته بمقالة مرجليوث ومضمونها ؟ ان الرجل قد أخبرنا أن يعقوب صروف قد أخبره بخبر هذه المقالة واطلعه على ما فيها من آراء . وقد سلف أن قلت ان هذه أمانة علمية من الرجل . واضيف هنا أن هذه الأمانة قد حرم منها ، فيما يبدو ، بعض الناس الذين تشير الدلائل الى انهم قد عرفوا مقالة مرجليوث وما فيها ومع ذلك ينكرون وينكر أولياؤهم ذلك انكارا شديدا .

---

(٨٨) انظر مقالة/وثيقة جديدة لمرجليوث تبرىء عميد ادبنا من اتهام استمر ٦٠ عاما/أهرام الجمعة ١٩٨٦/١/١٧ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هل استوحى طه حسين نظريته فى الشعر الجاهلى من رينان

أن عبد الرشيد الصادق يسوق لنا رد طه حسين على السؤال التالى الذى بعث به طاهر مفتاح ، الباحث التونسى : « يميل بعض المستشرقين ، عن غير حق فى رأيى ، الى أن يلتمسوا مصادر « فى الشعر الجاهلى » فى الدراسة التى كتبها مرجليوث عن الشعر القديم ، بدلا من أن يلتمسوها فى الأدب الفرنسى ، فما رأيك أنت »(٨٩) ؟ وقبل أن أورد رد الدكتور طه حسين انبه القارىء إلى الطريقة المضحكة التى وضح بها الباحث التونسى سؤاله. انه بعد أن « يكتف » طه حسين بالمبادرة بقوله انه لايعتقد صحة أخذه فكرة مرجليوث ، يتظاهر بأنه يريد أن يعرف الحقيقة منه . وهل يعقل أن يعترف طه حسين على نفسه ويهدم مجده ويعطى خصومه سلاحا يحاربونه به ، وبخاصة أمام مثل هذا الولى المتحمس الذى أصدر حكم البراءة قبل جلسة المحكمة ؟ هل يظن طاهر مفتاح اننا يمكن أن نتوقع أن يدق طه حسين بيده مسمارا فى نعش شهرته ؟ أما بالنسبة لسامح كريم وغيره ، الذين يرون أن مرجليوث قد أصدر وثيقة البراءة القاطعة لطه حسين ، فانى أقول : وماذا تفعلون فى المارجوليثين (اقصد « المستشرقين ») الآخرين الذين ذكر طاهر مفتاح أنهم يلتمسون مصادر طه حسين فى مقالة مرجليوث ؟ ومع ذلك فاننا لا نعتمد الا على منطق الوقائع التاريخية الثابتة وطبيعة الأمور وسياقها والمقابلة بين النصوص .

والآن أنقل للقارىء رد طه حسين ، الذى لم يكن أمامه (على ما وضحنا) غيره . قال : « أن المستشرقين الذين يعتقدون أننى تأثرت بمرجليوث عندما كتبت « فى الشعر الجاهلى » مخطئون بالتأكيد ، فأنا لم أقرأ دراسة مرجليوث الا بعد سنة من صدور كتابى » . أيا ما يكن الأمر فطه حسين ليس بالذى يعلو

---

(٨٩) من مقالة عبد الرشيد الصادق/فى ذكرى رحيل طه حسين (٢) : العميد ومرجليوث وفصل الخطاب/أهرام الجمعة ١٩٨٦/١١/٧ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كلامه على المناقشة ، فما اكثر ما قال ثم تنكر لما قاله ! وعلى كل حال فمن قال ان عدم قراءته الكتاب (لو صح ما قاله) تمنع ان يتأثر بما فيه ؟ لقد عرف الرافعى مثلا مضمون الكتاب نفسه من غير ان يقراه . هذا ، ولا يفوتنى هنا ان ابين تهافت منطق من احتجوا بجهل طه حسين بالانجليزية بأن اسألهم السؤال التالى : وكيف استطاع طه حسين ان يقرا هذه الدراسة ، كما يقول ، بعد سنة من صدور كتابه ؟ أتراه قد اتقن الانجليزية فى هذه المدة ؟

ولكن عبد الرشيد الصادق يتجاهل هذه الصلة الواضحة بين مقالة مرجليوث وكتاب الدكتور طه ويحاول ان يقنعنا ان طه حسين انما استمد فكرته من رينان . وهو حين يفعل ذلك لا يعتمد على هذه الشبهة المضحكة التى ظن سامح كريم انها شىء ، وما هى بشىء ! شبهة جهل طه حسين بالانجليزية ، فعبد الرشيد صادق ليس مجرد ملخص لما يقوله بعض الآخرين ، شأن سامح كريم ، بل يطمح الى ان يأتى بفرض جديد .

والفرض الذى يقدمه عبد الرشيد الصادق يتلخص فى : ان طه حسين لم يطلع على مقالة مرجليوث قبل ان يكتب كتابه « فى الشعر الجاهلى » بل بعدها بعام ، وان خطة بحثه تختلف عن خطة مرجليوث ، وان الدليلين اللذين اعتمد عليهما (فيما اعتمد عليه) مرجليوث ، وهما الدليل اللغوى والدليل الدينى ، كانا معروفين للمستشرقين الذين الذين تناولوا هذا الموضوع قبل هذا المستشرق الانجليزى ، وان طه حسين بالنسبة لهذين الدليلين قد تأثر برينان .

هذا هو الفرض الذى عرضه عبد الرشيد الصادق وأراد اثباته على مدى ثلاثة اسابيع فى الصفحة الأدبية بأهرام جمع ١٩٨٦/١٠/٣١ و ٧ /١١/ ١٩٨٦ . وسنتناول بالمناقشة عناصر هذا الفرض عنصرا عنصرا .

فأما بالنسبة للعنصر الأول ، وهو ان طه حسين لم يطلع على مقالة مرجليوث الا بعد ان فرغ من كتابه بعام ، فقد ساق الباحث قول طه حسين المتضمن هذا المعنى ، والذى ناقشناه قبل قليل ، وانتهينا الى انه موضع

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

شك كبير ، بل وجدنا فيه أبلغ رد على هؤلاء الذين اعتمدوا على جهله بالانجليزية في نفي تأثره ببحث مرجليوث . وعلى هذا فاني لا أجد داعيا الى اعادة تفنيده هنا . بيد أن عبد الرشيد الصادق لا يكتفي بهذا الدليل بل يستشهد قبل ذلك بخطاب أوردته السيدة زوجة الدكتور طه حسين في كتابها عن ذكرياتها معه وقالت انه أرسله اليها أثناء تأليفه الكتاب . وهذا نصه : « منذ الأمس لم أكف عن العمل الا من أجل أن أطعم وأنام . انني متعب قليلا ، لكني سعيد جدا . انك تعرفين هذا النوع من الرضا الذي يعقب القيام بالواجب ، وذلك الشعور بأن المرء على مستوى الرسالة التي كلف بها برغم المصاعب التي يواجهها . لا أدري ان كان الطلبة يفهموننى ، لكني كنت سعيدا وأنا ألقي درسي قبل قليل ، فأبحاثي الشخصية تصل بي الى نتائج كبار المستشرقين نفسها . أتدرين أنني قررت الا أقرأ أبحاثهم الا بعد ان انجز أبحاثي لكي أكون على علم بها فقط ؟ »(٩٠) .

والحقيقة أننا في الظروف الحالية لا نستطيع أن نتأكد من صحة هذا الخطاب أو زيفه عن طريق فحص الورق والحبر والخط الذي كتب به ومقارنته بخط الشخص الذي تنسب اليه كتابته ، اذ ليس هذا الخطاب بين أيدينا . ولا يصح أن يقال ان علينا أن نقبل كلام السيدة زوجة الدكتور طه حسين دونما مناقشة ، فان البحث العلمي لا يعرف هذه الاعتبارات . واذا كنت قد وضعت شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام وأقواله بل تاريخه كله ، وهو من هو ، تحت مجهر البحث العقلي المجرد في كتاب لي صدر من قبل(٩١) ، فلا أظن أن القارىء يتوقع مني أن آخذ كلام السيدة المذكورة مأخذ التسليم لمجرد أنها قالته ، وبخاصة أن في كتابها ما يجعلني أتردد كثيرا في التسليم بما تقول في مثل هذه القضايا . ولن أذهب بعيدا ، ففي الصفحة السابقة على تلك التي ورد فيها نص الرسالة السابقة تتحدث عن الدسائس

---

(٩٠) وانظر أهرام الجمعة ١٩٨٦/١١/٧ بالصفحة الأدبية .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والمؤامرات ضد طه حسين فى الجامعة ومخالفة القانون من اجل الكيد له وحرمانه من الدرجة والمرتب اللذين يستحقهما ، وكذلك عن عجز ظروف طه حسين عن تأمين مورد ثابت له ولأسرته . ووجه الشك فى هذا الكلام ان طه حسين بعد أشهر فقط من هذا التاريخ كان يقضى اجازة الصيف ، كما هى عادته ، فى فرنسا ، فهل يمكن ان يقوم بهذه الرحلة ، فضلا عن ان يفكر فيها ، رب اسرة يعجز عن توفير مورد ثابت لها ؟ بل ماذا تفعل الجنيهات القليلة التى كان يقبضها من الجامعة والصحف التى يكتب لها فى مواجهة رحلة مثل هذه ، زائد الاقامة طوال الصيف فى بلد كفرنسا مستوى المعيشة فيه مرتفع بمالا يقاس بمصر فى ذلك الحين ؟ ثم هل يسهل أن نصدق ان طه حسين وكان لا يزال فى أول الطريق فى الجامعة فى ذلك الوقت ، طه حسين الذى كان وراء استقدام كازانوفا ، بما يعنى انه ذو نفوذ فى الجامعة يمكنه أن يستقدم من يريد من المستشرقين ليحاضروا فى الجامعة ، طه حسين الذى لم يستطع أحد أن يمسه فى ذلك الحين حين ثارت زوابع قضية الشعر الجاهلى لوقوف الجامعة ومدير الجامعة ورئيس الوزراء وراءه ، بل طه حسين الذى نص بشأنه هو وحده من بين الأساتذة الآخرين ، فى عقد تحويل الجامعة من أهلية الى حكومية ، على أن يتحول معها ولا يمس كأنه جزء لا يتجزأ من الجامعة ، طه حسين هذا تحاك له المؤامرات فى الجامعة ، وفيها أصدقاؤه من المستشرقين والأساتذة الأجانب كما نعرف(٩٢) ؟ ثم ان تعصب هذه السيدة الشديد والخالى من أصول اللياقة ضد كل من رد على زوجها فى هذه المسألة التى ليست من اختصاصها وكان ينبغى ألا تزج بنفسها فيها يجعلنا نستقبل كل ما تقوله فى هذا الأمر بحذر شديد . لقد بلغ من تعصبها أنها وصفت الجماهير المصرية بالجهل والتعصب . وهما نفس الوصفين اللذين أتحفت بهما علماء الدين المسلمين والكتاب وأعضاء البرلمان الذين استنكروا أقوال زوجها الطاعنة فى الدين

---

(٩٢) انظر « معك »/ص ٧٤ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وفى الشعر الجاهلى(٩٣) ، على حين تصور الأوروبيين والقساوسة كأنهم ملائكة ذوو اجنحة بيضاء . ليس هذا فقط ، بل اننا نلاحظ ان طه حسين يتحدث لزوجته فى الخطاب المذكور عن محاضراته فى الجامعة كأنها شىء لا علم لها به ، مع ان زوجته كانت فى أبى قير،اى داخل مصر . يعنى لم تغب عنه الا اياما ، بما يفيد انها لا شك كانت على علم بهذه المحاضرات ، التى يقول زوجها لها انه لا يعرف ايفهمها الطلبة ام لا ؟ . وهذا يقودنا الى السؤال التالى : وهل ما قاله طه حسين فى الشعر الجاهلى من الصعوبة بحيث لا يمكن ان يفهمه طلبته ؟ وهل يمكننا ان نصدق ان احدا من الطلبة ، واحدا فقط ، لم يناقش طه حسين ، ولا نقول يخطئه ، فى آرائه عن هذا الشعر حتى لا يعرف طه حسين ايفهمه الطلبة ام لا ؟ فأين ذهب محمود شاكر ، وكان من طلبته فى ذلك العام ، وقد ناقشه اكثر من مرة بل اعترض عليه ، فى داخل المحاضرة وخارجها ، ولم تنحصر هذه المناقشات والاعتراضات فيما بين الطالب (وزملائه ايضا طبعا) وبين الأستاذ ، بل امتدت حتى دخل فيها بعض المستشرقين مثل نلينو وجويدى(٩٤) ؟ ثم ان الخطاب بلا تاريخ محدد ، فكيف فات هذا السيدة المذكورة ، وهى اوربية تعرف قيمة التواريخ بالنسبة للرسائل والمذكرات ؟

ومع ذلك كله (وقد نكون اخطأنا فى بعضه ، بسبب عدم التحديد الذى يتشح به كل من الخطاب والظروف التى قيل انه كتب فيها) فسوف نسلم به وبما جاء فيه ، فما الذى وجده فيه عبد الرشيد الصادق مما ينفى معرفة طه حسين بمقالة مرجليوث الا بعد ان بلغ فى محاضراته عن الشعر الجاهلى مرحلة متقدمة كما يقول ؟ قبل ان اجيب على هذا السؤال احب ان ابين للقارىء كيف ان هذا الباحث يتناقض من مقال لآخر . انه يقول هنا ان طه

---

(٩٣) المرجع السابق/ص ٥٨ ، ٧٨ .

(٩٤) انظر هذه القصة فى كتاب الأستاذ شاكر/المتنبى/ السفر الأول/ ص ٢٠ — ٢٤.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حسين قد اتاه نبأ مقالة مرجليوث وقد بلغ من محاضراته مرحلة متقدمة (وقد حدد تاريخ هذه المحاضرات بعد سطور بالعام الدراسى ٢٥ — ١٩٢٦) ، ولكنه فى المقالة التالية يقول : « ان العميد كان يلقى محاضراته **قبل عام** على الأقل من اصدار الكتاب ، اضافة الى أقوال مرجليوث نفسه التى **تؤكد** سبق صدور كتاب طه حسين على صدور كتاب « المستشرق »(٩٥) . فكيف بالله يتسق قوله ان نبأ مقالة مرجليوث قد اتى طه حسين وهو يلقى محاضراته فى الشعر الجاهلى فى عام ٢٥ — ١٩٢٦ (أى لأول مرة ، لأنه قبل ذلك كان يحاضر فى التاريخ اليونانى والرومانى) مع قوله بعد أسبوع واحد ان طه حسين كان قد حاضر فى موضوع الشعر الجاهلى عاما على الأقل من قبل ؟ (الحمد لله على كل حال ان هبط بالفرق عاما (وان تحفظ بقوله **« على الأقل »**) بعد ان كان الدكتور ابراهيم عبد الرحمن قد جعله عاما بعد عام ، أى عدة اعوام) . بل ان الباحث تبلغ به الجراة ان يقول فى ثقة يحسد عليها ان كتاب طه حسين قد ظهر قبل (كتاب) مرجليوث بعام باعتراف مرجليوث نفسه . والواقع ان هذا اضطراب شنيع وجدال عقيم مزعج يتنافيان مع أوليات المنهج العلمى وأمانة القلم . فأولا ، لم يحدث أن قال مرجليوث ان كتاب طه حسين قد صدر قبل « كتابه » (ودعنا من تسمية « مقالة » مرجليوث كتابا) ، بل كل ما قاله بنص ترجمة الدكتور ابراهيم عبد الرحمن لتعليق مرجليوث على كتاب « فى الأدب الجاهلى » لطه حسين ، ذلك التعليق الذى أدار عليه سامح كريم جانبا كبيرا من مقالة له فى نفس الصفحة الأدبية ، بأهرام الجمعة ١٩٨٦/١/١٧ (أى قبل مقالة عبد الرشيد الصادق ، الذى تحتفى به هذه الصفحة جدا بما يعنى انه على اتصال بها وثيق بنحو عشرة أشهر) أن « البحث الذى اتمه صاحب هذا المقال (مرجليوث) عن أصول الشعر العربى ... نشر فى نفس الوقت الذى نشر فيه طه حسين كتابه ». وقد سبق أن بينا بالدليل القاطع الذى لا يمكن أن يرد أن هذا المستشرق كذاب

---

(٩٥) أهرام الجمعة ١٩٨٦/١١/١٤/الصفحة الأدبية .

كذاب كذاب ، لأن فرق عشرة اشهر لا يقال عنه انه «نفس الوقت» ،فكيف بمن يقول ان مرجليوث قد ذكر أن كتاب طه حسين قد صدر قبل مقالته ؟ (حتى لاينسى القارىء أكرر ان مقالة مرجليوث ظهرت فى أول يولية ١٩٢٥ على حين ظهر كتاب طه حسين فى ابريل (على الأقل) ١٩٢٦) . فهذه واحدة . أما الثانية فهى قول عبد الرشد الصادق « انه يستدل من رسالة طه حسين الى زوجته ان نبأ دراسة مرجليوث قد جاءه وقد بلغ فى محاضراته مرحلة متقدمة،واجتمع له من النتائج ما يمكن أن تقارن بنتائج«كبار المستشرقين»(٩٦). وارجو من القارىء ان يرجع الى الرسالة ، وقد اوردناها قبل قليل ، ليرى بنفسه ايمكن الاستدلال على هذا منها ام لا . ان الرسالة لا تقول شيئا من هذا الا لمن يلويها عن طريقها الى الطريق الذى يقسرها على السير فيه .

ان عبارة الرسالة هى : « فأبحاثى الشخصية تصل بى الى نتائج كبار المستشرقين نفسها » ، فهل فى هذه العبارة ما « يستدل منه ان نبأ دراسة مرجليوث قد جاءه **وقد بلغ فى محاضراته مرحلة متقدمة** » ؟ بالطبع كلا ثم كلا . وحتى لو افترضنا ان ما فهمه الباحث صحيح ، أيدرى ماذا يترتب على ذلك ؟ انه يترتب عليه أن طه حسين حين قال انه لم يقرأ دراسة مرجليوث الا بعدها بعام لم يكن أمينا ، لأنه كان ينبغى عليه ان يضيف انه مع ذلك قد عرف بنبئها وبما تحتويه اثناء محاضراته وقبل ان يكتب كتابه (او على الأقل ، قبل أن يصدره) ، وهذا يدفعنا الى مزيد من الشك فى اقواله . أما فهمى انا فهو انه هنا يشير الى مقالة مرجليوث ، التى قد بينت قبلا أن من الصعب جدا الا تكون قد وصلته ، بعد ان وصلت الى أحمد تيمور باشا ويعقوب صروف ، اللذين لم يشأ اى منهما أن يحتجن معرفة ما فيها لنفسه ، فأعطاها الأول للطالب محمود شاكر ليقرأها ، واطلع الثانى الأستاذ مصطفى صادق الرافعى رحمه الله على محتواها . ومن المؤكد انهما لم يكتفيا باخبار شاكر والرافعى بل

---

(٩٦) أهرام الجمعة الجمعة ١٩٨٦/١١/٧/الصفحة الأدبية .

فعلا ذلك مع كثيرين غيرهما ، وهذان فعلا الشيء ذاته مع آخرين ، وهكذا . وكيف يمكن الا تكون قد وصلت طه حسين مقالة مرجليوث وقد كان معروفا من قبل أنه سيدرس الأدب العربى (والجاهلى بالذات) فى العام التالى ؟ فهل يعقل ان المستشرقين الذين كانوا على صلة وثيقة به والذين يستحيل ألا تكون المجلـــة قد وصلت اليهم (على ما بينا سابقا) لم يخبروه بهـــا وبمحتواها ؟ اذن فهيم كانوا يتحدثون فى الكلية وفى بيته ان لم يكونوا يتحدثون فى هذه المسائل ؟

وبالمناسبة فقد كان مرجليوث هو رئيس تحرير مجلة الجمعية الملكية الآسيوية(٩٧) . أقول هذا فقد يلقى الضوء على عبارة « كبار المستشرقين »، التى استعملها طه حسين فى خطابه الذى ذكرت زوجته انه أرسله اليها . وطه حسين ، ان صح انه كاتب هذه الرسالة ، يقصد بعبارته تلك أنه قد وجد نفسه قد انتهى الى النتائج التى اطلع عليها من قبل لمرجليوث ، بمعنى انه بعد ان قرئت عليه المقالة لم يشأ ان يستعين بها فى بحثه ، وفضل أن يبدأ من البداية ، فاذا عقله يقوده الى نتائج مرجليوث (مع بعض الاختلافات غير الأساسية ، كما مر قبله) . هذه هى الفرضية الصحيحة لهذه العبارة . وهى على اى حال لا يمكن أن تشير الى رينان ، الذى يفترض عبد الرشيد الصادق أنه هو منبع فكرة طه حسين عن الشعر الجاهلى . لماذا ؟ لأن طه حسين لو كان يقصد رينان بذلك لقال هذا لفتاح طاهر ، الذى سأله عن الشخص الذى تأثر به فى شكه فى الشعر الجاهلى ، فقال انهما الأخوان بكروازيه مؤرخا الأدب اليونانى ، فان مثل هذه المسائل لا تنسى أبدا(٩٨) . على أن ثمة سببا آخر يجعلنى استبعد أن يكون طه حسين قد قصد رينـــان بقوله

---

(٩٧) انظر نجيب العقيقى/المستشرقون/جـ٢/ص ٧٧ ، ود. محمد مصطفى هدارة / قضية الشك فى التراث الجاهلى . مرجليوث وطه حسين وعبد الرحمن بدوى/أهرام الجمعة/٣/١/١٩٨٦ .

(٩٨) انظر عبد الرشيد الصادق/العميد ومرجليوث وفصل الخطاب/ أهرام الجمعة ٧/١١/١٩٨٦ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

« كبار المستشرقين » . هذا السبب هو أن رينان لم ينته الى هذه النتائج ، بل بالعكس كان هـذا المستشرق يؤمن بصحة الشـعر الجـاهلى ايمانا شديدا(٩٩) . وسوف نناقش هذه النقطة بشيء من التفصيل فيما بعد . وهكذا يرى القارىء أن كل الطرق مسدودة أمام مثل هذه المحاولات . كذلك فان طه حسين ، فيما أعلم ، لم يذكر رينان فى كتاباته حتى ذلك التاريخ ، بل لم يرد لهذا المستشرق ذكر فى الجزء الثالث من « الأيام » حيث ذكر طه حسين أسماء مؤلفين كثيرين من الذين قرأهم مع خطيبته (وزوجته فيما بعـد) ، ولا حتى فى كتاب « فى الشعر الجاهلى » ، وهو ما يوحى (على الأقل) بأن رينان ليست له فى فكر طه حسين تلك الأهمية التى يخلعها عليه عبد الرشيد الصادق . وأحب أن أقف قليلا عند قول الباحث هنا : « فاذا أراد خصوم طه حسين أن يواصلوا الجدل بعد هـذه النقطة (يقصد استدلاله الذى ناقشناه آنفا) فعليهم أن يكذبوا طه حسين ، وأن يفترضوا أنه قد قرأ دراسة مرجليوث مترجمة أو ملخصة بالعربية فى الوقت المناسب للتأثر بها (أى فى الفترة الواقعـة بين وصـول المقـالة الى مصر وبدايات العام الدراسى ٢٥ — ١٩٢٦) . فاذا اتبعـوا هـذا الطريق واجهنـاهم بما يهـدم كل دعاواهم »(١٠٠) . وانى فى الحقيقة لا أدرى أهذا تهديد أم احراج أم ماذا ؟ ان كان يقصد بذلك أنه سيذكر رد الدكتور طه حسين على مفتاح طاهر الذى ذكرناه آنفا فقد قلنا رأينا فيه . أما ان كان يريد أن يقول انه يحتفظ بورقة فى يده سيلعبها عند اللزوم حينما يندفع خصوم طه حسين (والحمد لله ، الذى لم يجعلنى سبحانه واحدا منهم) بعناد وتهور معلنين أنهم يكذبون طه حسين ، فان هذا ليس من المنهج العلمى فى شىء ، لأننا فى العلم لا ندبر المؤامرات

---

(٩٩) انظر عبد الرشيد الصادق/العميد ومرجليوث والنقد الحديث/ أهرام الجمعة ١٩٨٦/١٠/٣١ .

(١٠٠) العميد ومرجليوث وطه حسين/الصفحة الأدبية بأهرام الجمعة ١٩٨٦/١١/٧ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لبعضنا البعض ، بل نتعاون معا فى سبيل نشدان الحقيقة . وأنا عن نفسى أعلن للمرة الثالثة على الأقل فى هذا البحث (وهو ما افعله دائما فى كل بحوثى) اننى بشر اصيب واخطىء ، وأن من الممكن أن تكون اشياء قد غابت عنى ، ومن الممكن اذا ظهرت ان تغير بعض آرائى أو كلها . وبرغم هذا فانى أعلن كذلك (للمرة الثالثة أيضا ؟ لا أذكر) أن تصريحات طه حسين ليست لها عصمة ولا قداسة . وانما هى كلام قابل للدرس والفحص ، ويجوز عليه الصدق والكذب . ولا اظن ان هذا يغضب اى عاقل منصف ، وهو نفسه قد شك ، فى كتابه الذى يدور عليه بحثنا ، شكا عاصفا فى الشعر الجاهلى بل اعلن أنه لا يبالى بأقدس مقدساتنا نحن المسلمين ، ومع ذلك فقد قلت بصراحة لا مواربة فيها ان هذا حقه (بغض النظر عن دوافعه) . باختصار اذا كان عند هذا الباحث شىء لم يذكره ويخبئه ليحرج به من سماهم خصوم طه حسين فقد كان ينبغى عليه الا يفعل ذلك . ولا تزال امامه الفرصة ليعرض علينا ، نحن الباحثين عن الحقيقة (لا نحن خصوم طه حسين ، فلست خصمه وانما أنا خصم الباطل) . والى أن يفعل (ان لم يكن قد فعل ، باشارته الى رد طه حسين على مفتاح ظاهر) أرانى لا أجد أمامى الا أن أتمسك بكل آرائى ومواقفى تجاه ما قاله هو أو قاله الدكتور طه حسين .

ولكى أعطى القارىء فكرة عن حقيقة تصريحات طه حسين ومدى أهليتها للثقة أذكر له أنه قال فى رسالته لزوجته (ان كان قد كتبها فعلا اليها) : « اننى قررت الا اقرأ أبحاثهم (أى أبحاث المستشرقين) الا بعد ان انجز ابحاثى لكى اكون على علم بها فقط »(١) . وبغض النظر عن أنى لا افهم أن يحرص طه حسين على اخبار زوجته فى خطابه بقرار كهذا كأنه من الأسرار الملحة التى لا يستطيع أن يؤجلها حتى تعود من

---

(١) العميد ومرجليوث وطه حسين / الصفحة الأدبية بأهرام الجمعة ١٩٨٦/١١/٧ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أبى قير ، ورغم أن مثل هذا القرار يجافى منهج البحث ، الذى يستلزم ان يلم الباحث بكل ما يمكن أن يضع يده عليه من دراسات سابقة ، لأن المسألة مسألة تعاون لا مسألة كبرياء شخصية ، فانى الفت نظر القارىء الى ان طه حسين فى أول كتاب كتبه بعد هذه الرسالة (وهو كتاب « فى الشعر الجاهلى » قد ألغى ، فيما يبدو هذا القرار الخطير (أم تُسيه ؟ أم سها عنه ؟) رغم انه لم يكن قد مر على اتخاذه وقت يذكر ، اذ انه فى فصل « الدين وانتحال الشعر » من هذا الكتاب قد لخص بحث كليمان هوار فى المجلة الآسيوية سنة ١٩٠٤) الذى تحدث فيه عن امية بن الصلت واستمداد القرآن من شعره (٢) . كذلك ففى الطبعة الثانية من هذا الكتاب ، التى سميت « فى الأدب الجاهلى » نراه يستشهد ببحث للمستشرق اغناطيوس جويدى بالعربية واللاتينية عن اللغة العربية الجنوبية القديمة (٣) . فما القول فى هذا ؟ أترى عدم التزامه بهذا القرار الخطير امرا عارضا ؟ اذن فاعلم (وهذا مجرد مثال) انه فى سنة ١٩٣٧ حين وضع كتابه « مع المتنبى » لم يبال ايضا بهذا القرار ، فقد رجع الى كتابى بلاشير وما سينيون عن المتنبى وكتاب هذا الأخير عن الحلاج(٤) ، بالاضافة الى انه اخذ نظرية بلاشير فى قرمطية المتنبى وبنى عليها كتابه . هذا من ناحية القرار . على ان فى كتاب « مع المتنبى » دليلا آخر على ما كررته فى بحثى هذا من ان كلامه عندى ليس أهلا لكبير ثقة . كيف ؟

---

(٢) انظر الشعر الجاهلى / ص ٨٢ ، ٨٥ .

(٣) انظر فى الأدب الجاهلى / ص ٨١ ، فى الهامش .

(٤) انظر هوامش صفحات ٩٢ ، ١٠٤ ، ١٤٥ ، ٢٠٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ / ج ا من هذا الكتاب .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

اسمع اولا ما يقوله د . طه عما طلبه من كاتبه وهو يتأهب للسفر مع أسرته الى فرنسا ، كعادته كل صيف تقريبا :

« طلبت الى صاحبى حين كان يجمع ما ينبغى أن يحمله من الكتب ألا ينسى ديوان المتنبى . ولم اطلب اليه أن يحمل ديوانا آخر من دواوين الشعر القديم او الحديث ، وانما طلبت ديوان المتنبى وحده ، وأراد صاحبى أن يحمل ما فى مكتبى من الشروح التى كتبها القدماء والمحدثون يفسرون بها هذا الديوان ، فأبيت عليه هذا كله ، وتقدمت اليه فى أن يكتفى بأيسر طبعة من طبعات المتنبى ، لأنى لا اريد درسا ولا بحثا وانما اريد صحبة ومرافقة ليس غير » (٥) .

ان هذا ليس موضع ابداء الراى فى دراسة طه حسين هذه عن المتنبى ، فقد تكفل بذلك كتابى عن حياة الشاعر وشخصيته ، ولكن الذى أريد أن اقوله هو أن كتاب طه حسين ، برغم ما قاله عن انه لم يأخذ معه الا ايسر طبعة من ديوان المتنبى لأنه لا يريد بحثا ولا درسا ، يمتلىء بالمراجع القديمة والحديثة عن المتنبى وشعره . وليرجع من شاء الى الكتاب ، وسوف ينغرفاه دهشا . وثمة سبب آخر ينفى عبد الرشيد الصادق بناء عليه أن يكون طه حسين قد اخذ فكرة كتابه من مرجليوث . وهذا السبب هو انه يحصر الاتفاق بين الدكتور طه حسين والمستشرق الانجليزى ، فى « الدليل اللغوى ودليل المحتوى الدينى » ويؤكد أن هذين الدليلين ليسا من ابتداع مرجليوث ولكنهما من قبيل الأفكار الشائعة فى كتابات المستشرقين الذين تناولوا الشعر الجاهلى فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . وذلك بالاضافة الى قوله انه ليس صحيحا ان هناك تطابقا تاما بين مرجليوث وطه حسين فى هاتين النقطتين وان ترتيب طه حسين لأفكاره يختلف عن ترتيب

---

(٥) مع المتنبى جـ ١ / ص ٤ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مرجيوث (٦) . وللرد على ذلك نقول ان نقط الاتفاق بين طه حسين ومرجليوث لا تقتصر ابدا على هذين الدليلين . وقد بينا بالتفصيل قبل صفحات أن الأمر اوسع واعمق من ذلك بما لا نرى معه حاجة الى اعادة القول فيه هنا ، اللهم الا ان نشير ثانية الى ان اساسيات فكرة طه حسين وفكرة مرجليوث متشابهتان ، وان ماأضافه طه حسين بعد ذلك لم يكن ليوجد لولا هذه الفكرة الاساسية . ثم هل ترانى بحاجة الى ان اسوق رأى مرجليوث ، الذى نص نصا واضحا لا يقبل جدالا او تأويلا ان « فكرة الكتاب مماثلة الى حد كبير للفكرة التى ادرت حولها بحثى عن اصول الشعر الجاهلى » ؟ اننى اتفق مع عبد الرشيد الصادق على انه ليس هناك تطابق تام بين مقالة مرجليوث ومقالة طه حسين . ولكن هذا لا يعنى ان طه حسين لم يأخذ فكرة الرجل ويصوغها بأسلوبه ويضيف اليها بعض النقط الفرعية . اما مسألة الاختلاف فى ترتيب نقاط البحث عند مرجليوث وطه حسين فهذه مسألة شكلية لا تقدم ولا تؤخر كثيرا .

وحتى لو سلمنا بأن المسألة محصورة فى « الدليل اللغوى ودليل المحتوى الدينى » فليس يعنى كون هاتين الفكرتين تراثا مشتركا فى كتابات المستشرقين السابقين على مرجليوث ان طه حسين لم يتأثر بهذا المستشرق وتأثر بمن قبله ((وبالذات رينان ، كما يريدنا الباحث ان نصدق)) . لماذا ؟ اولا ، لأن اشارة طه حسين فى رسالته ((ان سلمنا بها)) لا يمكن ان تعنى رينان ، كما شرحنا من قبل . وثانيا ، لأنه لو كان الأمر كذلك فلماذا لم يكتب طه حسين بحثه الا فى اعقاب دراسة مرجليوث مع أن

---

(٦) انظر مقالتى عبد الرشيد الصادق فى الصفحة الأدبية فى اهرام الجمعة ١٩٨٦/١٠/٣١ و ١٩٨٦/١١/٧ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بحوث رينان ونولدكه وغيرهما قد سبقت مقالة مرجليوث بوقت جد طويل ؟ قد يجاب بانه لم يتول تدريس الادب الجاهلى الا ذلك العام . ولكن أيمكن أن نظن ان طه حسين ، لو ان هذه الفكرة كانت فى ذهنه قبل مرجليوث ، كان سيصبر على كتمانها وهو الكاتب الغزير الانتاج الذى لا يطيق ان يكتم رايا رآه حتى لو تراجع عنه بعد ذلك ؟ ثم لماذا كتب طه حسين فى الشعر الأموى والشعر العباسى قبل ذلك ولم يكتب فى الشعر الجاهلى لو كانت عنده هذه النظرية الخطيرة ؟ ولا يقولن معترض انه لم يكن قد كونها بعد ، والا فالسؤال هو : وكيف استطاع أن يكونها هكذا سريعا لو كانت من بنات افكاره ؟ (٧) ان طه حسين ، على كثرة ما كتب قبل سفره الى فرنسا وبعد عودته من بعثته الى ان الف كتابه هذا لم يتعرض ، فيما نعلم ، لصحة الشعر الجاهلى فى شىء ، مع انه كانت هناك فرصة جد مغرية أمامه لاثارة هذا الموضوع لو كان فى ذهنه اى شك فيها قبل ظهور مقالة مرجليوث . وهذه الفرصة هى ظهور « تاريخ آداب العرب » للرافعى ، فقد قراه طه حسين ، وكان كل همه هو الزعم بانه لم يفهم منه شيئا ، مع أن الرافعى قد عالج فى كتابه هذا تلك القضية باحاطة وتفصيل . وقد كان أمام طه حسين الفرصة من سنة ١٩١١ (تاريخ ظهور كتاب الرافعى) الى ١٩٢٥ ليقول ما عنده فى الشعر الجاهلى لو كان عنده شىء . والعجيب ذو المغزى أن طه حسين ، الذى لم يفهم هذا الكتاب (وهو يقصد بذلك طبعا التقليل

---

(٧) انظر خاتمة كتاب طه حسين / مع المتنبى / ج ٢ وبالذات ص ٧٠٥ — ٧٠٦ حيث يبسط القول بعض الشىء فى ظروفه (فى مصر) التى تمنعه من التعمق فى البحث والدرس وتجعله يكتفى من ذلك بالهين اليسير ، لندرك معنى قولى اكثر من مرة فى بحثى هذا انه قد كتب كتابه « فى الشعر الجاهلى » على عجل ، وبخاصة انه كان بين يديه أو فى ذاكرته فكرة مرجليوث ، التى اخذها واضاف اليها بعض الفرعيات وانتحلها .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من شأنه وشأن مؤلفه) يعود بعد ظهور مقالة مرجليوث فيثنى عليه وعلى صاحبه . وتفسير ذلك عندى هو انه اراد ان يتخذ الرافعى ردءا من ناحيتين : فمن ناحية اراد أن يقول لمن يعرف انهم سيهبون لتفنيد رايه المتسم بالتهافت والغلو المجاوز لكل منطق : اننى لست وحدى الذى شك فى هذا الشعر فى عصرنا هذا ، بلّ هذا هو الرافعى المتحمس للقديم قد فعل ذلك قبلى . ومن ناحية ثانية ظن انه بالثناء على الرافعى سوف يخدره فلا يتناوله بالنقد والتسفيه . ولكن هذه الحيلة ، كما نعرف ، لم تجز على الرافعى ولا على غيره .

فاذا تذكرنا ما اشرنا اليه قبل ذلك من أن رينان لم يشك فىّ صحة الشعر الجاهلى بل كان على العكس يؤمن بها ايمانا شديدا وان طه حسين لم يشر قط الى رينان تاكد لدينا أن محاولة الربط بينهما هى محاولة مقضى عليها بالفشل (٨) . أما قول عبد الرشيد الصادق أن دليلى اللغة والمحتوى الدينى قد نبه اليهما رينان ، وان لم يرتب عليهما نفى الشعر الجاهلى) واخذهما عنه نولدكه ومرجليوث فهو يدل عندنا على تاثر طه حسين بهذا الأخير ، على اعتبار انه آخر من كتب فى هذا الموضوع ، فان للجديد دويه الذى يلفت اليه الأسماع والأبصار ويتسلط به على العقول وبخاصة أن مرجليوث هو اكبر من اثار هذه القضية فى كتاباته (٩) . علاوة على أن تشابه فكرة طه حسين مع فكرة مرجليوث اوضح وابرز واشمل ، لانه لا يقتصر على الدليلين المذكورين . ومن جهة اخرى فان مرجليوث وطه حسين قد انتهيا الى الشك فى الشعر

---

(٨) — انظر فى ذلك مقالتى عبد الرشيد الصادق فى الصفحة الأدبية فى اهرام الجمعة ١٩٨٦/١٠/٣١ و ١٩٨٦/١١/١٤ .

(٩) انظر د. شوقى ضيف / العصر الجاهلى / ص ٤٦ .

الجاهلي « على عكس رينان » ، وان عمم الأول شكه واستثنى الثانى من الشك بعض هذا الشعر « على غموض وضعف فى الأساس الذى بنى عليه الاستثناء ، كما سبق القول » .

كذلك فقد يدل على ان ثمة علاقة كانت بين طه حسين ومرجليوث قبل مقاله هذا الأخير ، بما يعنى أن طه حسين كان يتابع ما يكتب هذا المستشرق، أن الدكتور طه حسين لما ذهب الى أكسفورد بعد ظهور كتابه بعامين نزل هو وأسرته ضيوفا على مرجليوث وزوجته ، التى اعتنت بطفله المريض آنذاك عناية كبيرة(١٠) ولو لم تكن بينهما علاقة قبل ذلك « وليس شرطا أن تكون علاقة مقابلات وزيارات بل قد تكون علاقة فكر وتبادل آراء » لنزل طه حسين وأسرته فى نزل بتلك المدينة أو بمسكن من مساكن الجامعة هناك مثلا ، فان التحفظ الانجليزى معروف وبخاصة تجاه الغرباء .

هل ترانا بعدنا عن الرافعى ونسيناه ؟ لا أخال ، بل منه ننطلق واليه نعود ، وكيلا ننسى أذكر القارىء بأن الرافعى هو ، على قدر علمنا ، أول من اتهم طه حسين « كتابة » بالسرقة من مرجليوث . صحيح انه عاد فقال : ان أحدهم قد نبهه الى ان طه حسين قد أخذ فكرته من بعض مستشرقى الألمان الذين أصدورا فى باريس كتاب « الشعر العربى قبل الاسلام » ، الا أن هذا لم يكن رجوعا منه عن ربط طه حسين بمرجليوث ، فان فى كلامه عبارة توحى بأنه يقصد ان الفكرة كانت موجودة عند المستشرقين قبل مرجليوث . وهذا نص عبارته التى تعطى هذا المعنى : « ولكن أحد الفضلاء نبهنا الى انه قبل جحا (يقصد

---

(١٠) معك / ص ٩١ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مرجليوث) قد كان ابو دلامة (يقصد المستشرقين الألمان المشار اليهم) » (١١) . ولكيلا ننسى ايضا اذكر القارىء بأن اتهام الرافعى لطه حسين لم يقتصر على الأخذ من مرجليوث ، بل شمل كليمان هوار وغيره . وقد بينا فى الصفحات السابقة الى اى حد يصدق هذا الاتهام بما يدل على أن ما قاله الرافعى لم يكن كلاما فى الهواء القاه على عواهنه .

(١١) تحت راية القرآن / ص ٢١٣ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هل ما قاله طه حسين هو نفس ما قاله ابن سلام ؟

غير أن بعض من عالجوا من العرب هذه القضية فى الآونة الأخيرة ، وهو الدكتور عبد الرحمن بدوى ، ادعى أن « النتائج التى انتهى اليها ابن سلام الجمحى والأسباب التى ساقها لبيان منشأ الانتحال والتزييف والزيادة فى الشعر الجاهلى ... هى هى عينها النتائج والأسباب التى أوردها الدكتور طه حسين فى كتابه « فى الشعر الجاهلى » أو كتابه المعدل هذا . ثم عقب هذا البعض على ذلك متسائلا : فعلام اذن كل هذه الضجة الزائفة التى اثيرت حول هذا الكتاب حتى نعتوا صاحبه بما شاؤا من النعوت، فاتهموه بالمروق والتهجم على التراث العربى العريق ، والرغبة فى تحطم امجاد العرب ، والانسياق وراء « مؤامرات » المستشرقين « ولهذه الكلمة فى ذهن كل أو جل المشتغلين بالأدب العربى معان غريبة ممعنة فى التضليل والايهام والتهاويل » . فهل كان ابن سلام الجمحى (١٤٥ — ٢٣١ هـ) مستشرقا هو الآخر متآمرا على التراث ؟ » (١٢) .

والواقع أن هذه الكلمات على قلتها محشوة بالمغالطات الشنيعة ، فهل حقيقة أن لكلمة « المستشرقين » فى أذهان كل « المشتغلين » بالأدب العربى (وأن تراجع الكاتب فقال « أو جلهم ») معان غريبة ممعنة فى التضليل والايهام والتهاويل ؟ ان كثيرا من المشتغلين بآدابنا للأسف يرددون آراء المستشرقين كالببغاوات . والدكتور بدوى بحكم اتصاله ببيئات المستشرقين واعجابه الشديد بهم يعرف هذا جيدا ، فكان عليه ألا يستخدم

---

(١٢) انظر د. هدارة / قضية الشك فى التراث الجاهلى / أهرام الجمعة ١٩٨٦/١/٣ / الصفحة الأدبية .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

« كل » ، وهو الدارس للفلسفة والمنطق ، اللذين من شأنهما أن يعودا المتخصص فيهما ، حتى لو لم يكن فيلسوفا ولا منطقيا ، أن يكون دقيقا فى عباراته . كذلك فان آراء طه حسين ، التى كما رأينا قد نقلها عن عدد من المستشرقين لا يمكن أن تكون أبدا هى نفسها آراء ابن سلام . وليس العرب هم وحدهم الذين يرفضون آراء أمثال مرجليوث وطه حسين ومن لف لفهما ، بل الحقيقة انهم ليسوا أول من فعل ذلك . وقد كان أحرى به وهو الذى جمع ما قاله المستشرقون فى قضية الشعر الجاهلى أن يعرف هذا قبل غيره . هل كان رينان يشك فى الشعر الجاهلى ؟ لقد تكفل عبد الرشيد الصادق ، كما رأينا فيما سبق ، وما ساقه من كلام رينان الاجابة على هذا السؤال بالنفى (١٣) . ولايال ، الم يرد على مرجليوث ويفند آراءه ؟ (١٤) ومثله أيضا برونيلش (١٥) . ثم ما رأى الدكتور بدوى فيما قاله جورجيو ليفى دلافيدا فى هذا الموضوع ؟ الم ير هو أيضا انه قد بولغ فى مسألة وضع الشعر الجاهلى ونحله ... (وان) مجموع الرواية الشعرية فى جملتها صحيحة أصيلة ؟ (١٦) وكذلك ما رأيه فى نقض آربرى ، المستشرق الانجليزى لنظرية مواطنه مرجليوث فى أصول الشعر العربى ؟ (١٧)

---

(١٣) انظر عبد الرحمن الصادق / مقالتاه عن طه حسين ومرجليوث فى أهرام الجمعة ١٩٨٦/١٠/٣١ و ١٩٨٦/١١/١٤ .

(١٤) انظر د. ناصر الدين الأسد / ص ٣٦٧ — ٣٧٤ .

(١٥) — انظر مثلا د. شوقى ضيف / العصر الجاهلى / ص ١٦٦ ، ود. هدارة فى مقالته بالصفحة الأدبية بأهرام الجمعه ١٩٨٦/١/٣ .

(١٦) — انظر د. ناصر الدين الأسد / ص ٣٧٤ — ٣٧٦ وانظر كذلك ما كتبه دلافيدا نفسه عن هذا الموضوع فى مقالته عن طه حسين / ص ١٦٩ — ١٧٠ من كتاب « طه حسين كما يعرفه كتاب عصره » .

(١٧) — انظر مقالة د. هدارة فى الصفحة الأدبية بأهرام الجمعة ١٩٨٦/١/٣ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذا هو الموقف الذى انتهى اليه المستشرقون بوجه عام ، كما يقول هذا المستشرق نفسه(١٨) . لم ترى هؤلاء هم ايضا من المشتغلين بالأدب العربى الذين لكلمة « المستشرقين » فى أذهانهم معان غريبة مبعثة فى التضليل والايهام والتهاويل ؟ ثم هل يمكن أن نصدق أن طه حسين وحده من دون من سبقوه من لدن ابن سلام الى وقت ظهور كتابه « فى الشعر الجاهلى » هو الذى فهم ما قاله الناقد العربى القديم ، بعد أن أخطأ السابقون فهمه طوال هذه القرون المتطاولة ؟ بل كيف أثنى طه حسين نفسه على مصطفى صادق الرافعى وما قاله عن الوضع فى الشعر الجاهلى (فى كتابه « تاريخ آداب العرب ») ، على ما مر بنا ، والرافعى ، اذا سلمنا بما قاله الدكتور بدوى عن تطابق ابن سلام وطه حسين،قد أخطأ فى فهم ابن سلام؟وهل هاجم ابن سلام القرآن وشكك فى مصدره السماوى كما فعل طه حسين ؟ (للمرة الثالثة أقول : انى لا أصادر حرية طه حسين ولا غير طه حسين فى الجهر بما يريد ، ولكن هذه هى حقيقة آراء طه حسين ، وان حاول بعض أن يموهوا ذلك) أن خير رد على دعوى د. بدوى أن طه حسين لم يفعل اكثر من أنه انتهى الى نفس النتائج والأسباب التى انتهى اليها من قبله ابن سلام هو ايراد ما قاله هذا الناقد العربى القديم والمقابلة بينه وبين آراء د. طه حسين ، وذلك بدلا من تضييع الوقت فى الجدال النظرى الذى من الواضح أن بعض الدارسين بارعون فيه الى درجة مذهلة .

ان سامح كريم الصحفى بالأهرام يورد بعض ما قاله ابن سلام وكأنه وقع على كنز ثمين ، متصورا أن هذه النصوص المبتسرة تخدم شبهته التى أخذها عن د. بدوى ، وهى أن طه حسين لم يقل شيئا اكثر مما قاله ابن سلام . وهذا ما أورده من أقوال ابن سلام : « وفى الشعر

---

(١٨) — طه حسين كما يعرفه كتاب عصره / ص ١٧٠ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مصنوع مفتعل وموضوع كثير لا خير فيه ... وقد تداوله قوم من كتاب لم يأخذوه عن أهل البادية ولم يعرضوه على العلماء » و « فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استغل بعض العشائر شعراءهم وما ذهب من ذكر وقائعهم . وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم ، فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار ، فقالوا على السنة شعرائهم . ثم كانت الرواة بعد ، فزادوا في الأشعار التي قيلت . وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضع المولدون . وانما عضل بينهم (كذا . وقد وجدتها في ط ١٩٥٢ هكذا : « وانما عضل ذلك بهم ») أن يقول الرجل من أهل البادية من ولد الشعراء ، أو الرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعض الأشكال » و « أشعرهم (أي أشعر شعراء المدينة) حسان بن ثابت ، وهو كثير الشعر جيده ، وقد حمل عليه ما لم يحمل على آخر » . ثم يعقب قائلا : « أليست هذه الأقوال لابن سلام تجعل طه حسين يتأثر به في نظرته للشعر الجاهلي ؟ »(١٩) والجواب : أن ابن سلام كان موجودا بين يدي طه حسين قبل سفره الى فرنسا وبعد عودته منها سنين طوالا ، فلماذا لم يتأثر به الا بعد ظهور مقالة مرجليوث ؟ بل لقد عرض الرافعي هذه القضية عرضا معتدلا كما صورها القدماء مع الاحاطة بها تفصيلا ووضعها في اطارها العام ، وكان ذلك قبل ظهور بحث مرجليوث باربعة عشر عاما ، فكيف لم تلفت انتباه طه حسين ، وظل غافلا عن هذه القضية الى أن صدرت مقالة مرجليوث ، وعندئذ .. وعندئذ فقط أصيب بالاهتمام المفاجيء بها ، بل عندئذ .. وعندئذ فقط أصبح ما كتبه الرافعي يستحق الثناء بعد أن كان صرح بأنه لا يفهمه . فهذه واحدة . أما الثانية ، فهل

---

(١٩) انظر مقالة سامح كريم في الصفحة الأدبية بأهرام الجمعة ١٩٨٦/١/١٧ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يظن سامح كريم ود. عبد الرحمن بدوى ان مثل هذه الاقوال لابن سلام كانت غائبة عن كل من درسوا الشعر الجاهلى الا طه حسين ، او انهم على الاقل لم يفهموها حق فهمها حتى جاء طه حسين وفهمها كما ينبغى ! ابراهما يريان فيها غموضا عويصا لا يستطيع سوى طه حسين أن يقشع غمامه وسحبه ؟ الا فليعلما انه لا أحد يشاح فى كلام ابن سلام وغيره من العلماء الثقات الاثبات فى الشعر الجاهلى . وانما المشكلة فى ان طه حسين ، بدلا من ان ينظر فى امر الشعر الجاهلى نظرة الفاحص المجحص فينفى منه ما يستحق النفى ويقبل منه ما هو جدير بالاطمئنان والقبول ، شأن ابن سلام وغيره من علمائنا ونقادنا القدامى ، آثر ان يردد مقالة مرجليوث فى الشك العنيف فى الشعر الجاهلى ، وان سمح باستثناء القليل استثناءا غامضا ، على عكس المستشرق الانجيزى ، الذى الغى الشعر الجاهلى جملة وأراح نفسه .

ان سامح كريم يخبرنا انه حين اورد ما اورد انما كان ذلك بناء على اختيار عشوائى . وغريب امر ذلك الاختيار العشوائى الذى لا يأتى ابدا من اقوال ابن سلام بما يبين تبيينا ساطعا ان طه حسين قد خالف ابن سلام مخالفة شديدة وآثر عليه مرجليوت . لقد كان يمكننى ان اقول ان ما سأورده الآن لابن سلام انما هو نتيجة اختيار عشوائى ، بيد انى صريح احب ان اسمى الأشياء بمسمياتها ، ولهذا اعلن بملء فمى انى قرات مقدمة ابن سلام كلها فوجدت فيها الآتى : « وقد اختلف **العلماء فى بعض** الشعر كما اختلف فى بعض الأشياء . **اما ما اتفقوا عليه فليس لاحد ان يخرج منه** » و « **فى الشعر المسموع مفتعل موضوع لا خير فيه ... وقد كان عند النعمان بن المنذر منه ديوان فيه اشعار الفحول** وما مدح هو واهل بيته به ، فصار

---

(٢٠) محمد بن سلام الجمحى / طبقات فحول الشعراء / ص ٦ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلك الى بنى مروان او صار منه » (٢١) و « اول من تكلم بالعربية ولسان اليه اسماعيل بن ابراهيم صلوات الله عليهما » . (٢٢) والآن نتساءل : اين هذا مما الح عليه طه حسين من الشك فى الاغلبية الساحقة من الشعر الجاهلى ؟ واين هذا من نفى طه حسين ان يكون شىء من ذلك الشعر قد دون مكتوبا ؟ (٢٣) واين هذا من عد طه حسين هجرة سيدنا ابراهيم وسيدنا اسماعيل عليهما السلام الى مكة وابوة هذا للعرب اسطورة من الاساطير شاعت فى العصر الجاهلى ثم جاء الاسلام فاستغلها لاسباب سياسية ؟ وهل جعل ابن سلام المسلمين كلهم كذابين وضاعين كما جعلهم طه حسين ؟ وهل شك ابن سلام فى وجود امرىء القيس مثلا ؟ وماذا نفعل فى قول ابن سلام انه ليس لاحد ان يخرج مما اتفق العلماء على صحته من الشعر الجاهلى ؟ اهذا ايضا مما اتفق فيه ابن سلام وطه حسين ، الذى لم يعبأ بمقاييس اولئك العلماء ونتائجهم ؟ ان الاجابة عن هذه الاسئلة تدل على ان طه حسين قد تأثر بمرجليوث وردد كلامه ابن سلام . ثم كيف نسى سامح كريم ومن اخذ عنهم ان مرجليوث نفسه قد قال عن بحثه وبحث طه حسين انهما متماثلان الى حد كبير ، مع ان بحثه يدور حول رفض كل ما قاله القدماء عن صحة الشعر الجاهلى ، ولم يقل ان فكرة طه حسين تشبه فكرة ابن سلام ؟ استبان لنا اذن من المقابلة بين ابن سلام

---

(٢١) السابق / ض ٦ ، ٢٣ .

(٢٢) السابق / ص ٩ .

(٢٣) للحقيقة يبدو كلام ابن سلام هنا غير متسق تماما ، اذ ذكر قبيل ذلك ان العرب لم يؤولوا من الشعر الجاهلى الى ديوان مكتوب ، وان كان يمكن التوفيق بين هذا وذاك بالقول بانه يقصد علماء العرب ورواتهم لا ملوكهم .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وطه حسين ان ما قاله د. عبد الرحمن بدوى ورددده وراءه سامح كريم غير صحيح . (٢٤) كذلك فان اقتصار هذا الأخير على ايراد قول د. شوقى ضيف ان حديث طه حسين عن اسباب نحل الشعر يعتمد اساسا على القدماء العرب ومنهم ابن سلام هو عمل أقل ما يوصف به انه سيق للتضليل . وحتى اثبت للقارىء صدق الحكم اسوق اليه كلام الدكتور شوقى كله وبنصه . قال بعد ان لخص الأسباب التى دفعت طه حسين الى الشك فى الشعر الجاهلى ورد عليها وفندها سببا سببا (٢٥) : « ويخرج طه حسين فى مصنفه من هذا الكتاب الثانى الى الكتاب الثالث ، فيتحدث عن اسباب نحل الشعر ويبسطها بسطا معتمدا على ملاحظات القدماء» (٢٦) ، وبعد ان يورد د. شوقى ضيف هذه الأسباب ويعلق عليها بما ينقض موقف طه حسين يقول :) ومعنى ذلك كله انه فى هذا الكتاب انما يردد ما نص عليه العلماء السابقون من قضايا ، يريد أن يتسع لنقض الشعر الجاهلى جميعه ، وهى انما تنقض جوانب منه ، وينبغى ان نقف عندها والا نذهب مذهب التعميم » (٢٧) . ثم بعد ان ينتد موقف طه حسين من شعراء ربيعة

---

(٢٤) علق د. محمد مصطفى فى مقالته باهرام الجمعة ٣/١/١٩٨٦ على كلام د. عبد الرحمن بدوى هذا بقوله : « ولا أجد تجاوزا لكل الحقائق أشد واخطر من هذه الاقوال . فما ابعد كلام ابن سلام عن مرجليوث . وما اصدق قول الأستاذ محمود محمد شاكر : « اما ابن سلام صاحب كتاب « طبقات فحول الشعراء » فهو من قضية الشعر الجاهلى بمعزل . ابن سلام لا يشك فى شعر هو احد حفاظه وعلمائه ، ثم يؤلف فى هذا الشعر وشعرائه كتابا براسه هو كتاب « طبقات فحول الشعراء » فلماذا تزيف الحقائق ؟ » وهذا الكلام ، كما ترى ، هو الحق الذى لا مرية فيه .

(٢٥) انظر / ١٧٠ — ١٧٣ من / العصر الجاهلى .

(٢٦) ص ١٧٣ .

(٢٧) ص ١٧٤ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وشعراء مضر وتصريحه بما معناه انه كان يستطيع أن يحقق نتائج سليمة لو استقصى ما قاله القدماء فى هذا الموضوع يقول : « والحق أن الشعر الجاهلى فيه موضوع كثير . غير أن ذلك لم يكن غائبا عن القدماء ، فقد عرضوه على نقد شديد تناولوا به رواته من جهة وصيغه والفاظه من جهة ثانية ، أو بعبارة أخرى عرضوه على نقد داخلى وخارجى دقيق . ومعنى ذلك انهم احاطوه بسياج محكم من التحرى والتثبت ، **فكان ينبغى الا يبالغ المحدثون من امثال مرجليوث وطه حسين** (ارجو أن يقرأ سامح كريم هذه العبارة الأخيرة جيدا ويتنبه لدلالة الربط بين مرجليوث وطه حسين فى هذا السياق) **فى الشك فيه مبالغة تنتهى الى رفضه** . انما نشك حقا فيما شك فيه القدماء ونرفضه . اما ما وثقوه ورواه اثباتهم من مثل أبى عمرو بن العلاء والمفضل الضبى والأصمعى وابى زيد فحرى ان نقبله ما داموا قد اجمعوا على صحته . ومع ذلك ينبغى أن نخضعه للامتحان وان نرفض بعض ما رووه على اسس علمية منهجية **لا لمجرد الظن** (ارجو ايضا التنبه لهذه العبارة ومغزاها) كان يروى لشاعر شعر لا يتصل بظروفه التاريخية ، او تجرى فيه اسماء مواضع بعيدة عن موطن قبيلته ، أو يضاف اليه شعر اسلامى النزعة ، ونحو ذلك مما يجعلنا نلمس الوضع لمسا » (٢٨) .

على انى رغم سطوع الحقيقة كالشمس فى رائعة النهار ، احب ان اعرف ماذا يقول د. طه حسين نفسه فى هذه النقطة . يقول : « واما انصار الجديد فـ . . هم لا يطمئنون الى ما قاله القدماء ، وانما يلقونه بالتحفظ والشك . ولعل أشد ما يملكهم الشك حين يجدون من القدماء ثقة واطمئنانا . هم يريدون أن يدرسوا مسألة الشعر الجاهلى فيتجاهلون

---

(٢٨) العصر الجاهلى / ص ١٧٥ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

اجماع القدماء على ما اجمعوا عليه ، ويتساطون : اهناك شعر جاهلي!. . . والنتائج اللازمة لهذا المذهب الذى يذهبه المجددون عظيمة جليلة الخطر ، فهى الى الثورة الأدبية اقرب منها الى كل شيء آخر . وحسبك انهم يشكون فيما كان الناس يرونه يقينا ، وقد يجحدون ما اجمع الناس على أنه لا شك فيه (يبدو لى ان المقصود بذلك هو الشعر الجاهلى وشعراؤه ، ولكن تنبه لما هو آت) وليس حظ هذا المذهب منتهيا عند هذا الحد ، بل هو يجاوزه الى حدود اخرى أبعد منه مدى وأعظم اثرا ، فهم ينتهون الى تغيير التاريخ أو ما اتفق الناس على انه تاريخ (ارجو ان تنتبه اكثر) . وهم قد ينتهون الى الشك فى اشياء لم يكن يباح الشك فيها ((لا اظن المعنى خافيا على القارىء ، فليس الا القرآن الكريم . وليس هذا تخمينا ، فقد انكر الدكتور ، كما وضحنا بالنصوص القطعية ، اشياء فى القرآن الكريم ، ونظر اليه بوصفه تاليفا بشريا . ولنتابع) . وهم بين اثنتين : اما ان يجحدوا انفسهم ويجحدوا العلم وحقوقه فيريحوا ويستريحوا ، واما ان يعرفوا لانفسهم حقها ويؤدوا للعلم واجبه ، فيتعرضوا لما ينبغى ان يتعرض له العلماء من الأذى ((والأذى طبعا لا ينال من يقتصر شكه على امرىء القيس وامثاله من شعراء الجاهلية وشعرهم ، وان لم يكن الأذى من رأينا . ولكن هذا موضوع آخر) ، ويحتملوا ما ينبغى ان يحتمله العلماء من سخط الساخطين)) (٢٩) .

فهذا ما يقوله طه حسين نفسه ، وهو يهدم دعاوى د. عبد الرحمن بدوى وسامح كريم من ورائه . اذن فاتهام الرافعى لطه حسين بانه اخذ آراء المستشرقين هى تهمة قوية ، وكل الملابسات والأدلة تؤيدها وتؤكدها.

---

(٢٩) فى الشعر الجاهلى / ص ٥ — ٦ وتجده ايضا فى ص ٦٤ — ٦٥ ص / فى الأدب الجاهلى .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومع ذلك فان الرافعي ، رحمه الله ، في موضع آخر من كتابه « تحت راية القرآن » يتهم طه حسين بانه بنى كتابه « في الشعر الجاهلي » على الباب المعنون بـ « الرواية والرواة » من كتابه هو « تاريخ آداب العرب » (٣٠). والواقع ان عرض الرافعي لهذه المسألة في كتابه المذكور هو عرض شامل ومفصل ومنظم ، ولكن دعواه هذه غير مسلمة ، الا اذا كان يقصد ان طه حسين قد اخذ كلامه (وهو بالمناسبة كلام القدماء ، مع الاحاطة والتفصيل والتنظيم كما قلنا) ، ومطه الى نهايته وشك في الشعر الجاهلي كله تقريبا بدلا من الاقتصار على ما اقتصر عليه من سبقه من العلماء والنقاد العرب قديما وحديثا .

(٣٠) انظر تحت راية القرآن / ص ١٣٦ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

نقد الرافعي لمنهج طه حسين في دراسة الشعر الجاهلي وآرائه فيه

والآن حان الوقت لتناول نقد الرافعي لمنهج طه حسين في دراسة الشعر الجاهلي وأفكاره في هذا الموضوع . وأول ما ينبغي أن نعرض له هنا هو ما قاله الرافعي عن استخدام الدكتور طه لمنهج الشك عند ديكارت الفيلسوف الفرنسي الشهير (٣٠) .

لقد قدم الرافعي تلخيصا لمذهب هذا الفيلسوف (٣١) وهاك نص ما قاله عن هذا الفيلسوف : « فيلسوف فرنسي توفي سنة ١٦٥٠ م ، وله المذهب الفلسفي المنسوب اليه القائم على هذه الكلمة : « انا افكر فانا اذن موجود » . وخلاصة مذهبه ألا تقر حقا لست على بينة انه حق ، وألا تقطع بالرأي حتى تكون على يقين من أنك محصته ولم يفتك نص ولا شيء مما تستعين به وأن تجزيء كل مشكلة تمتحنها الى الأجزاء التي لا يكون الحل بدونها حلا ، وأن تجزيء التفكير على نظام تدريجي من السهل الى ما فوقه » . ثم عقب عليه بقوله : « وقد ثبت أن طه لم يفهم هذا المذهب وأنه شموذ به على الطلبة وانه لا يعدل جهله فيما ينقل عن العربية الا ما

---

(٣١) انظر في الشعر الجاهلي . فصل / منهج البحث / ص ١١ — ١٤ حيث يعلن د. طه انه سيستخدم في بحثه هذا منهج ديكارت في الشك .

(٣٢) في تحت راية القرآن / هامش ص / ١٤٠ .

(٣٣) في الشعر الجاهلي / ص ١١ . وفي قواعد المنهج الديكارتي انظر ديكارت / Discours de la Methode ص ٦٣ — ٦٤ (مع التعليقات التي كتبها شاربنتييه في الهامش) ، وكذلك ترجمة محمود محمد الخضيري لهذا البحث / ص ٣١ — ٣٢ (مع التعليقات المفيدة التي اضافها في الهامش) . كذلك برتراند رسل / حكمة الغرب / ص ٧٠ ، ود. توفيق الطويل / أسس الفلسفة / ص ١٤٨ — ١٥٠ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ينقله عن الفرنسية » . والواقع أن مقارنة سريعة بين تلخيص الرافعي لهذا المذهب وما قاله عنه طه حسين فى كتابه « فى الشعر الجاهلى » تبين لنا أوضح تبيين أن الرافعى لم يترك شيئا من القواعد التى أرساها الفيلسوف الفرنسى من أجل التوصل الى اليقين ، على حين لم يذكر طه حسين الا شيئا واحدا مما تقتضيه قاعدة واحدة فقط من هذه القواعد ، وهى القاعدة الأولى التى تقضى بأن « يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل » . بل انه ساق ذلك على نحو موجز ، وكان الأحرى به أن يفصل القول فى هذه القاعدة تفصيلا لا يغادر جانبا من جوانبها حتى يعطى قارئه فرصة كاملة لتمحيص ما يقوله ونقده ، وترك الثلاث الباقية التى من المؤكد انه لم يعرها أدنى التفات وهو يدرس الشعر الجاهلى . ليس ذلك فقط ، بل ان طه حسين قد عجز عن تطبيق هذه القاعدة ، اذا لم نقل انه لم يفهم أبعادها ، أو على الأقل هذا ما يفهم من موقفه من الدين (كما عرضه فى كتابه « فى الشعر الجاهلى » ، وهو ما سنتناوله بعد قليل . ولذلك جاء بحثه خديجا غير ناضج مما أعطى الرافعى وكل من ردوا عليه أقوى سلاح فى تسفيه منهجه وآرائه وهدمها . أى أن حكم الرافعى على استخدام طه حسين لهذا المنهج هو حكم صحيح ، وان جاءت عبارته شديدة (٣٤) .

---

(٣٤) انظر فى الخلاف بين طه حسين وبعض من انتقدوا فهمه لديكارت مقالة عبد الرشيد الصادق محمود / أبعاد جديدة لمعارك طه حسين الفكرية . لماذا زعم طه حسين أن لديه مخطوطات لم تنشر لديكارت ؟ / الهلال / سبتمبر ١٩٨٤ / ص ٤٠ — ٤٩ . وانظر فى معرفة طه حسين بديكارت وفلسفته مقالة كامل زهيرى / المنهج الفكرى عند طه حسين / وبالذات ص ١٤٤ — ١٤٥ ، ١٤٨ — ١٤٩ من كتاب « طه حسين كما يعرفه علماء عصره » . وانظر كذلك ص ١٢٨ من نفس الكتاب حيث يرى محمود أمين العالم أن طه حسين « لم يكن فى حاجة الى هذا المنهج

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي موضع آخر يكرر الرافعي الزراية على طه حسين لعدم فهمه منهج ديكارت وعجزه عن الاستفادة به(٣٥) . ويمضي فيشير الى ان ديكارت كان « يخشى على التكوين الاجتماعي من الشك ، لأن الشك لاحد له ، اذ هو المجهول كله . فهو من أجل هذا يشترط الا تمس اصول الدين ولايجترأ على مانزله الناس في منزلتها من أصول العادات »(٣٦) . ثم يعقب قائلا : وكل ذلك على ما فيه من القيود لا يتفق على احسنه الا لمن كان عقله من الذكاء والنفاذ كأنه قيد للمعاني والخواطر ، فهو اطلاق لا يراد منه الاطلاق الأحمق كما ظهر في كتاب أستاذ الجامعة ، بل تقييد الحقيقة التي لا سبيل اليها الا من البصيرة . وما البصيرة ان تعمى عن الحق بشيء من العاطفة أو العصبية ، ولا بشيء من الجهل او ضعف الذهن ، فان هذين كهذين . ومذهب ديكارت كله تجده على أسماه وأبعده من الاعتراض وما يدخله من الشبهة في قوله تعالى : « هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة » (٣٧) .

الديكارتي ، فجوهر حركته الفكرية هو التحديد العقلي ، وليس الشك الديكارتي الا وجها من أوجه هذا الجهد العقلي ولكنه ليس جوهره » . والواقع أن في كلام العالم مبالغة شديدة تعتمد على الخطابية والتعميم ، فضلا عما فيه من تناقض أسوق للتدليل عليه قوله (ص / ١٢٩) : « اننا في بعض كتاباته الأخرى قد نلمح فيها جنوحا الى التشكك في قيمة العقل كأداة منفردة للمعرفة » . وهو تناقض لا يبوء بذنبه هو وحده بل طه حسين أيضا ، مما يدل على أن الرافعي لم يظلمه حين هاجم فهمه لفلسفة ديكارت وتطبيقه لمنهجه كما رأينا .

(٣٥) تحت راية القرآن / ص ٢٣٢ .
(٣٦) المرجع السابق / ص ٢٢٣ .
(٣٧) السابق / ص ٢٢٣ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والحقيقة أن كلام الرافعي عن استثناء ديكارت للدين واصول العادات من الشك صحيح (يقصد ديكارت بالدين دينه هو ، وبما يسميه الرافعي « اصول العادات » عادات بلاده) ، بيد ان ديكارت انما فعل ذلك بصفة مؤقتة حتى يصل الى بر اليقين الذي سيغنيه حينئذ عن ذلك (٣٨).

ويبدو ان عثمان نوية لم ينتبه الى ان هذا القانون الذى استثنى به ديكارت دينه وعادات بلاده انما هو قانون مؤقت ، ولذلك رأى انه يتناقض مع قوله : « اننى اتبع افكارى اينما قادتنى (٣٩) . ومع ذلك فان ديكارت ، فيما يفهم من كلام تيسير شيخ الأرض عن هذه المسألة ، لم يتوصل الى وضع اسس هذه الأخلاق المطلقة وعاد فتبنى هذه الأخلاق المؤقتة (٤٠).

اذن فان كلام الرافعي ان لم يصدق فى هذه الجزئية على فكر ديكارت النظرى فانه مع ذلك صحيح بالنسبة الى ما استقر عليه الفيلسوف الفرنسي بعد ذلك . بيد انه ينبغى ان نعرف ان ديكارت قد اثبت وجود الله بالتأمل والبرهان العقليين . (٤٢) ولكن اثبات وجود الله ، كما هو مفهوم ، لا

---

(٣٨) انظر برتراند راسل / حكمة الغرب / ج ٢ / ص ٧٠ — ٧١ .

(٣٩) انظر عثمان نوية / اعلام الفكر الاوربى / ج ١ / ص ١١٣ .

(٤٠) انظر ترجمة تيسير شيخ الأرض لكتاب اندريه كريسون « ديكارت » / ص ١٠١ — ١٠٢ (فى الهامش) ، ود. عثمان امين / ديكارت / ص ١٠٠ .

(٤١) الذى ظل كاثوليكيا مخلصا لا لشىء الا لأن الكاثوليكية هى مذهب بلاده ومليكه . انظر برتراند رسل/ The History of Western Philosophy ص ٥٨١ ، وحكمة الغرب / ج /٢/ ص ٦٨ . وانظر د. عثمان امين / ديكارت / ص ٤٦

(٤٢) انظر فى ذلك ديكارت . Discours de la Methode

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يستغرق الدين كله . اما ما يكن الامر فانى لا اوافق الزاعمى على خطيئة على الدين من البحث والشك ، والمهم ان يكون شكا ايجابيا غايته الوصول الى بر اليقين وبرده . والاسلام هو الدين الوحيد الذى لا يخاف عليه من البحث والتمحيص . انه دين العقل والمنطق ، والقرآن لا يطلب احدا من احد ان يسلم بوجود الله او بصدق محمد ﷺ او بجمال تشريعاته وفائدتها للبشرية تسليما اعمى ، فان مثل هذا التسليم معيب فى نظر القرآن عيبا شديدا ، بل تسليم العقل والاقتناع الحر (ولا خوف عليه مما حدث مثلا للنصرانية واسرارها الغامضة ، التى رفضها الفلاسفة الاوربيون الذين تاثروا بمنهج ديكارت ، فليس فى الاسلام غموض ولا اسرار ، وهو لا يطلب من اتباعه ان يؤمنوا باشياء تخالف العقل)(٤٣) .

ومن هنا فانى لا افهم موقف طه حسين المراوغ حين حاول ان يوهمنا بان الانسان قد يشك بعقله فى الوقت الذى يكون قلبه فيه مطمئنا ،

ص٨٢ — ٩٠ ، وترجمة محمود محمد الخضيرى لهذا الكتاب (بعنوان « مقالة عن المنهج لاحكام قيادة العقل وللبحث عن الحقيقة والعلوم ») ص ٥٨ — ٧٣ ، وكذلك ديكارت / التأملات فى الفلسفة الأولى (ترجمة د. عثمان امين) ص ١٥٢ — ١٦٥ . وانظر ايضا برتراند رسل فى كتابه The History of Western Philosophy ومادة Descartes فى كل من مؤلفيه Ch. De z obry & Th. Bachelet Dictionnaire Générale de Biographie et d' Histoire... ج / ص / ٧٧٩ ، وكذلك A Dictionary of Philosophy محرره Antony Flew ص ٨٤ — ٨٥ . وانظر كذلك د. مراد وهبة / قصة الفلسفة / ص ٦٨ — ٦٩ ، ود. توفيق الطويل / اسس الفلسفة / ص ١٥١ .

(٤٣) انظر فى تأثير منهج ديكارت على الفلاسفة الذين هاجموا النصرانية او رفضوا تعاليمها المتصلة بما يسمى أسرار الكنيسة ، عثمان امين / ديكارت / ص ٢٧٣ — ٢٧٥ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وانه هو ، برغم انكاره بعض ما جاء في القرآن ووصفه له بأنه مجرد اساطير صنعت لأغراض سياسية ، مسلم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، بل قلت انه كان ينبغي عليه أن يختار بين الدين والبحث العلمي ما دام يرى انهما متعارضان ، على الأقل احتراما للقانون الفطري الذي اشار اليه ديكارت (أليس يزعم طه حسين انه يجري على منهج هذا الفيلسوف ؟) ، وهو قانون « عدم التناقض » . ان منهج الشك الديكارتي هو منهج شامل ، بمعنى أن ديكارت قد طبقه على كل شيء ، وبداه من البداية الأولى ، فشك حتى في وجود نفسه ، اما طه حسين فانه لم يشك الا في « الشعر الجاهلي » . وقد انكر كذلك المصدر الالهي للقرآن ، وان ادعى انه لم يفعل . وهو ما جعلنا نقول انه كان ينبغي عليه اولا أن يبين لنا موقفه بصراحة ووضوح منه ، بدلا من هذا الجمع بين المتناقضات (٤٤) .

وبالاضافة الى ذلك فقد اخذ الرافعي على طه حسين أنه لا يطرد شكه في الروايات الا حين لا يعجبه مضمونها على حين يسارع بتصديقها اذا راى انها تخدم فكرته (٤٥) . والواقع انه كان ينبغي على طه حسين ان يجعل الروايات كلها أمام نظره سواء ، فيعاملها كلها على انها مشكوك في صحتها حتى تثبت له صحتها بالمنهج الديكارتي الصارم الذي زعم انه سيدرس الشعر الجاهلي على اساسه ، او على الأقل كان عليه أن ينظر اليها جميعا على أنها صحيحة الى أن يجد فيها ما يجعله يرفضها ، اما الوزن بميزانين فليس من المنهج العلمي في شيء . ان القاعدة الرابعة

---

(٤٤) صرح طه حسين بعد ذلك ، كما رأينا فيما سبق ، بأن نظرته الى الدين وضعية ، اى انه صناعة بشرية ، نبع من الأرض ولم ينزل من السماء ، بمعنى انه ليس وحيا الهيا .

(٤٥) انظر راية القرآن / ص ١٧٥ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من قواعد ديكارت الأربع التى سبقت الاشارة اليهـا تقتضى من البـاحث أن يقوم فى كل الحـالات باحصاءات كاملة ومراجعات شاملة تجعل الشخص على يقين من انه لم يغفل شيئا (٤٦) . وطه حسين للأسف لم يحترم هذه القـاعدة ولم يفعل شيئا مما تطالب البـاحث ان يقوم به ، بل لعلهـا لم تخطر له على بال أو على الأقل لم تكن واضحة فى ذهنه .

وفى ضوء هذا ينبغى ان ننظر الى مأخذه عليه المرحوم الرافعى من انه قد ينتقل فى خلال اسطر معدودات من النقيض الى النقيض ، كمـا هو الحـال فى حديثه عن ايام العرب وحروبهم ، اذ قال (٤٧) « فحرب البسوس وحرب داحس والغبراء وحرب الفجـار وهذه الأيام الكثيرة التى وضعت فيها الكتب ونظم فيها الشعر ليست فى حقيقة الأمر ، ان استقامت نظريتنا ، الا توسيعا وتنمية لأساطير وذكريات كان العرب يتحدثون بها بعد الاسلام» ، فعلق الأستاذ الرافعى على ذلك بقوله (٤٨) : « ولعلنا لم نر فى كتـاب طه كلمة تدل على العقل الا قوله فى هذه العبارة : « ان استقامت نظريتنا » وتعليقه الرأى على هذا الشرط . وهو شرط بليغ ، ثم هو بعيد عمـا يأخذ فيه الشيخ من معاسف الرأى ومعاميه . وهو كذلك من ادب العلم ، اذ لا حكم الا بيقين ، فان كان الشك ترك الحكم معلقا . غير ان طه لم يتجاوز هذا العقل بعشرة اسطر حتى هاج به داؤه واعترته النوبة ، فاذاهو يقول : « وكل ما نرى من ايام العـرب وحروبها وخصوماتها وما يتصل بذلك من الشعر خليق أن يكون موضوعا ، والكثرة المطلقة منه موضوعة من غـير

---

(٤٦) انظر د. توفيق الطويل / أسـس الفلسفة / ص ١٥٠ ، وبرتراندرسل / حكمة الغـرب / ج ٢ / ص ٧٠ .

(٤٧) فى الشعر الجاهلى / ص ١٠٣ .

(٤٨) تحت راية القـرآن / ص ٣٧٤ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

شك » (٤٩) . ان من المؤكد أن أسئلة الرافعى التالية التى وجهها الى طه حسين هى مما يقتضيه المنهج الديكارتى (ومنهج البحث العلمى) ، الذى يستند الى الاحصاءات والمراجعات الدقيقة كما سلف القول . وهذه الأسئلة هى : « كم يوما من أيام العرب تعرف أيها الشيخ ؟ وفى كم كتاب هى ؟ وكم ديوانا وضع فيها من الشعر ؟ وما هى ؟ واين هى ؟ وما الذى وقفت عليه منها حتى تقطع على كل ذلك بأنه من عمل القصاص وانه زيادة وتوسعه فى الأساطير ؟ »(٥٠) وهى أسئلة ليس فى كتاب طه حسين ولا اظن انه كان عنده (وقتها على الأقل) اجابة عليها ، وهو ما يدل فى الحقيقة على أن طنطنته بديكارت ومنهج ديكارت انما هى طنطنة على غير اساس .

وهناك أمثلة أخرى من هذا التناقض الذى يصوره الرافعى بأسلوبه الساخر قائلا : « والعجب ان الشيخ كثيرا ما يضع راسه فى موضع ثم لا تكون الا وثبة لهذا رجلاه فى موضع راسه ! » ومن ذلك ما اشار اليه الرافعى رحمه الله مثل **نفى الدكتور طه حسين اننا لا نعرف شيئا آخر عن امرىء القيس الا اسمه** ، على حين انه قال قبل ذلك انه يقبل «ان امرأ القيس هو اول من قيد الأوابد وشبه الخيل بالعصى والعقبان وما الى ذلك»(٥١) ويعقب

---

(٤٩) من المعروف عن طه حسين انه يكثر فى مقدماته من استعمال عبارات مثل « لعل » و « ربما » و « قد يكون » و « لا يبعد ان يكون » ... الخ ، ثم يقفز فى النتائج التى يرتبها على هذه المقدمات المهزوزة الى الجزم والقطع . وقد لاحظنا انه متأثر فى ذلك بطريقة بعض المستشرقين . انظر كتابنا / المستشرقون والقرآن / ص ٩٣ . كما تنبه د. احمد كمال زكى الى هذه السمة فى اسلوب طه حسين . انظر ص ١٨٩ من « طه حسين كما يعرفه كتاب عصره » .

(٥٠) تحت راية القرآن / ص ٣٧٤ — ٣٧٥ .

(٥١) انظر « فى الشعر الجاهلى » / ص ١٤٨ ؛ ١٥٥ « وتحت راية القرآن » / ص ٢٩٨ — ٢٩٩ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الرافعي على هـذا بقوله : « وهنا كما ترى جذاء الشيخ مكان رأسـه ، والا فهل كان اسم امرىء القيس هو الذى قيـد الأوابد واختـرع كـل تلك المعانى ؟ » (٥٢) .

وقد اشار الرافعي الى تناقضـات اخـرى فى أفكار الدكتور طه . ومنها التناقض الذى فى كلامه عن طرفة بين العبد ، اذ يقول عن معلقته : « فى هذا الشعر شخصية بارزة قوية لايستطيع من يلمحها أن يزعم أنها متكلفة منتحلة او مستعارة . وهذه الشخصية ظاهرة البداوة واضحة الالحاد ، بينة الحزن واليأس والميـل الى الاباحة فى قصـد واعتدال ... وليس يعنينى أن يكون طرفة قائل هذا الشعـر ، بل ليس يعنينى ان اعرف اسم صاحب هـذا الشعر ، وانما الذى يعنينى هو أن هذا الشعر صحيح لا تكلف فيـه ولا انتحال»(٥٣) . وقد بين الرافعي بفكره الثاقب مافى هذا الكلام من تناقض يهدم فكرة الكتاب الذى ورد فيه هدما . قال رحمه الله : « فانظر كيف تفهم هذا الخبط . وهل كل شعر يقوله شاعر الا هو صحيح لا تكلف فيه ولاانتحال بالاضافة الى قائله ، ثم هو بعد ذلك اذا نسـب الى غير قائله كان موضوعا على هذا الذى نسب اليه ؟ واذا نحن ذهبنا هذا المذهب فى كل ما يروى عن الجاهلية قلنـا : لا يعنينـا أن يكون قائل هذا الشـعر فلانا او غيره ولم ننظـر الا الى الشـعر فى نفسه ، فماذا يبقى من كتاب طه حسـين ؟ وما فائدة بحثه فى الشعر الجاهلى ، وانما يقوم هذا البحث على اثبـات الشعر لمن عزى اليهم او نفيه عنهم بعـد الادلال بالحجة على هذا او على ذلك ، و « لا يعنينى » تطلق البحث من هذين القيدين معـا (٥٤) . وفى موضع آخر

---

(٥٢) تحت راية القـرآن / ص ٢٩٩ .

(٥٣) فى الشعر الجـاهلى / ص ١٧٧ .

(٥٤) تحت راية القرآن / ص ٣٣٩ . وانظر ص ٣٣٥ — ٣٣٩ حيث يشير الى تناقض طه حسين فى كلامه عن الوحدة فى القصيدة العربية .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

نجده رحمه الله يذكر انه قد نصح طه حسين بان يراجع مايلبسه لينفى عنه التعارض (٥٥) .

كذلك مما يأخذه الرافعى عليه مما يتعارض مع المنهج الديكارتى انه « لا يبحث كما يدعى وكما هو الأصل فى مذهب ديكارت ، وانما يقرر تقريرا . وشتان بين بحث يراد منه ما ينتجه من غير تعيين لنتيجة محتومة وبين تقرير النتيجة التى يساق لها البحث وتجمع لها الادلة . فان الأول يصلح على التجرد من الأسباب التى تؤثر فى الراى كالعاطفة والعصبية وغيرهما ، واما الثانى فزعم التجرد فيه حماقة وسخرية ، لأن النتيجة المعينة لا تجاذب الا مقدماتها . وهذه الأسباب لا تقوم الا بأحوال مقررة منها الراى والعصبية والميل والهوى ونحوها»(٥٦) .

ومن هنا يتهمه بتحريف النصوص وقسرها على النطق بماليس فيها(٥٧) . وقد أورد رحمه الله عدة امثلة لذلك . ومنها انه حين يقول ابن سلام عن وضع الشعر على الجاهليين : « ثم كانت الرواة بعد فزادوا فى الأشعار . وليس بشكل على أهل العلم زيادة ذلك ولا ما وضع المولدون ، وانما عضل بهم ان يقول الرجل من اهل بادية من ولد الشعراء او الرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعض الأشكال »(٥٨) نجد ان طه حسين ينسب اليه انه يقول « ان اهل العلم قادرون على ان يميزوا الشعر الذى ينتحله الرواة (كذا ...) .

---

(٥٥) تحت راية القرآن / ص ٣٣٥ .
(٥٦) المرجة السابق / ص ١٩٩ .
(٥٧) السابق / ١٩٩ .
(٥٨) تحت راية القرآن / ص ١٧٩ ، والنص فى « طبقات فحول الشعراء » (بتحقيق محمود شاكر) / ص ٣٩ مع اختلاف فى الصياغة بجد طفيف .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فى سهولة ، ولكنهم يجدون مشقة وعسرا فى تمييز الشعر الذى ينتحله العرب انفسهم »(٥٩) » . ويعقب الرافعى رحمه الله على ذلك بقوله : « فانظر الى الفرق البعيد بين قول ابن سلام : « الرجل من اهل بادية » وبين قول طه : « الذى ينتحله العرب انفسهم » . وتأمل معنى « يشكل بعض الاشكال » ومعنى . « يجدون مشقة وعسرا »(٦٠) . وهذا مجرد مثال ، والا فهناك امثلة اخرى يمكن للقارىء ان يرجع اليها فى صفحات ١٧٧ — ١٨١ ، ١٩٠ — ١٩٢ ، ٢٢١ — ٢٢٤ ، و٢٥٣— ٢٥٥ ، و٩١ — ٩٤ من « تحت راية القرآن » . وقد تنبه د . أحمد كمال زكى لهذا العيب ، اذ ذكر ان طه حسين قد « اورد اقوالا نسبها الى ابن سلام وهى لا توجد فى كتابه »(٦١) . كما اشار الى انه كان يبتر من النص مايتعارض مع مايريد ان يقوله (٦٢) .

هذا فيما يتعلق بمنهج الدكتور طه حسين وطريقته فى تناول قضية النحل فى الشعر الجاهلى ، ولكن ماذا عن ردود الرافعى على آراء الدكتور طه نفسها فى هذه القضية ؟

اننا لن نستطيع ان نورد كل آراء الدكتور طه وردود المرحوم الرافعى عليها ، اذ علاوة على ان الرافعى رحمه الله لم يرد على كل ما قاله الدكتور طه (٦٣) فليس هينا هنا هو استقصاء آراء الدكتور وردود

---

(٥٩) تحت راية القرآن / ص ١٧٩ ، والنص موجود فى ص ٦٧ من كتاب الدكتور طه حسين .

(٦٠) تحت راية القرآن / ص ١٨٠ .

(٦١) طه حسين كما يعرفه كتاب عصره / ص ١٨٨ .

(٦٢) المرجع السابق / ص ١٨٩ .

(٦٣) انظر ما قاله فى هذا الصدد / ص ٣٣٤ من / تحت راية القرآن .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الرافعى عليها والا لكان معنى هذا اننا نفيد نشر كتابيهما لا اننا نكتب بحثا عن هذين الكتابين وما اثاراه من قضايا ، ولتضعضعت كذلك دراستنا هذه نفسها لا نرضاه ، وانما حسبنا ان نشير الى بعض الأمثلة . فبالنسبة لما يسمى بدليل المحتوى الدينى الذى يقوم فيما يقوم عليه على ان شعر اليهود والنصارى ليس فيه ما يدل على ديانة قائليه يتساءل الرافعى قائلا : « وهل شعر النصارى واليهود الا كشعر سائر العرب فى الفخر والهجاء والوصف والنسيب وغيرها ؟ ام حسب الدكتور أن شعر النصرانى يجب أن يكون فى عقائده وانجيله وشعر اليهود فى توراته وتجارته ؟ ولعله لا يعلم أن اضعف ما يكون الشعر فى الصناعة اذا هو تناول هذه المعانى واشباهها كما يقع فى شعر العلماء والمتصوفة حتى قالوا : أن شعر حسان بن ثابت نزل فى الاسلام الى دون ما كان عليه فى الجاهلية » (٦٤) . والحق ان هذا ليس برد ، اذ ليست المسألة هى البحث عن سبب ضعف الشعر الدينى ان صحت دعوى الضعف واللين ، وانما هى البحث عن سبب اختفائه من اشعار الجاهليين . ولنفترض اننا وافقناه على ان شعر حسان ضعف فى الاسلام فيبقى السؤال هو : ولماذا لم يصل الينا شعر الجاهليين فى الدين على ضعفه ولينه كما وصل الينا شعر حسان ؟ وليس شرطا ان يكون الرد هو ان المسلمين قد محوا ذلك ، فانهم لم يمحوا مجادلات الكفار واهل الكتاب لرسولهم ولا آراءهم فيه عليه السلام وفى القرآن واتباعه بل وفى الله سبحانه نفسه . بل ان القرآن ذاته قد سجل افكارهم وعقائدهم وسفاهاتهم . كذلك فان هذا السؤال لا يسوغ ابدا اتهام الشعر الجاهلى بانه ملفق ، فهذا غير هذا . ان ضياع بعض الشعر الجاهلى شىء واتهام هذا الشعر جميعه بالزيف شىء آخر .

ومع ذلك فان الرافعى يعلل ضياع هذا اللون من الشعر بـ« سقوط الرواية

---

(٦٤) تحت راية القرآن / ص ١٣٤ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وضياع الكتب لا بضياع الشعر في نفسه باهمال المسلمين » ، ثم يذكر اشارات بعض المؤلفين القدامى الى ما كان موجودا من هذا الشعر على السنة الرواة وفي بطون الكتب قبل ان يضيع ، ومن ذلك اشارة الجاحظ الى اشعار اليهود ، التي كانت نوعا متميزا من طرائف الشعر ، وكتاب المرزباني الذي كان في اكثر من خمسة آلاف ورقة وكان احد أبوابه خاصا بديانات الشعراء في اشعارهم ومنهم اليهود والنصارى (٦٥) . وهو تعليل وجيه ولكنه غير كاف ، اذ السؤال هو : ولماذا ضاع الشعر الديني بالذات من شعر الجاهلية ؟ هل يمكن القول ان الدين كان قد ضعف في نفوس الجاهليين وان الشعر الديني في قصائد الفحول والمشاهير منهم قليل ، بخلاف المسلمين اول امرهم مع الاسلام ، اذ كان يخالط منهم العظام ، ولذلك اثر عن فحولهم ومشاهيرهم شعر ديني ؟ على كل حال ففي كتاب « الأصنام » لابن الكلبي اشعار كثيرة تصور الحياة الوثنية عند العرب . وكذلك للأب لويس شيخو كتاب « شعراء النصرانية » ، وفيه اشعار كثيرة تدل على نصرانية قائلها ، وان غالى المؤلف كثيرا فنسب كل من هب ودب الى ديانته تعصبا منه لها . ثم انه لاتزال هناك كتب لايحصيها العد لاتزال مخطوطة ، وكثير جدا منها مبعثر وبعيد عن ايدي العلماء والمحققين ، فربما كان كتاب المرزباني المشار اليه وكتب اخرى مشابهة له بين هذه المخطوطات .

ويتصل بهذه المسألة رد الرافعي على زعم الدكتور طه ان القرآن يدل على انه كان للعرب حياة عقلية قوية وقدرة على الجدال الديني والفلسفي انفق القرآن في جهادها حظا عظيما (٥٦) اذ يرى الرافعي ان « معنى الخصام واللدد انهم سفهاء اهل تكذيب وعناد ومكابرة . . . لا يمكن صرفهم عن راي يكون فيه الهوى ، كما لايمكن مثل ذلك في الجاهل الأحمق

---

(٦٥) المرجع السابق / ص ١٣٥ .

(٦٦) انظر في الشعر الجاهلي / ص ٢٠ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المصر المبتلى بالاستهتار والشـــك » (٦٧) . وهذا في الواقع هو الحق الصحيح لما ورد في القرآن عن هـــذا الموضوع . وكعادة الرافعي في كل مردوده على الدكتور طه نراه هنا يتهكم به فيقول : « يا فضيحة الجامعة المصرية في جلسات الأمم ! ألا يتفضل أستاذها على الأدب والتاريخ فيذكر لنا مجلسا واحدا من هذه المجالس العربية الفلسفية التي ينفقون فيها حياتهم ؟ ... أمن حججهم (أي العرب) الفلسفية كانت تلك الحجارة التي نص التاريخ على أنهم كانوا يقذفون بها النبي ﷺ حتى يلجئوه الى الحائط وذلك التراب الذي كانوا ينثرونه على رأسه أم قولهم : شاعر وساحر وكذاب ومجنون ... ؟ ومتى كانت هذه من صفات الفلاسفة يا شيخ الجامعة ؟ ... » . وهذا كما ترى تهكم مصمم بقوته لأنه قائم على أساس صلب من المنطق والفهم الصحيح لنصوص القرآن والمعرفة السليمة بتاريخ العرب في الجاهلية وأحوالهم العقلية والروحية .

وبالنسبة للدليل اللغوي الذي يستند الى أن الشعر الجاهلي لا يعكس اختلاف اللهجات بين القبائل والذي على أساسه يتساءل الدكتور طه قائلا : « اذا لم يكن نظم القرآن وهو ليس شعرا ولا مقيدا بما يتقيد به الشعر قد استطاع أن يستقيم في الأداء لهذه القبائل (يريد اختلاف القراءات) فكيف استطاع الشعر ؟ وكيف لم تحدث هذه اللهجات المتباينة آثارها في وزن الشعر وتقطيعه الموسيقي ؟ » يرد الأستاذ الرافعي بأنه كان على الدكتور طه أن يستقرئ اللهجات قبل أن يعترض بها ، وأنه لو كان فعل لرآها في الجملة لا تغير شيئا من أوزان الشعر ، اذ هي في معظمها ابدال حرف بحرف أو حركة بحركة أو مد بمد . ثم أن العلماء قد نصوا على أن العربي الفصيح غير مقيد بلهجة قبيلته اذا عارضت طبع الفصاحة

---

(٦٧) تحت راية القرآن / ص ١٥٤ .

(٦٨) المرجع السابق / ص ١٥٣ — ١٥٤ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عليه . كذلك فان اقدم ما وصل الينا من الشعر الجاهلى يرجع تاريخه الى مائة عام قبل الاسلام ، اى فى الزمن الذى نهضت فيه اللغة واخذ العرب يفهم عن بعض . ومع ذلك كله فقد تظهر فى الشعر لهجة القبيلة التى ينتمى اليها الشاعر . ثم يورد الرافعى شاهدا على ذلك من الشعر ومن حديث رسول الله ﷺ (٦٩) . وهو رد منطقى سليم ، وبخاصة ما فيه من اشارة الى ان العرب فى القرن السابق على الاسلام قد عرفوا لغة موحدة ، وان كنت لا استبعد ان يكون تاريخ ذلك اقدم كثيرا جدا من مجرد قرن . والعجيب ان يستند الدكتور طه الى اختلاف اللهجات بين القبائل غافلا عن ان لهجة كل اقليم من الاقاليم العربية منذ الاسلام حتى الآن تختلف عن لهجات الاقاليم العربية الاخرى بل ان ذلك يصدق تماما على لهجات النواحى المختلفة داخل الاقليم الواحد ، ومع ذلك فان الكتاب والادباء والشعراء اذا ابدعوا فانما يبدعون باللغة الفصحى . كذلك غفل الاستاذ الدكتور عن ان رسول الله ﷺ هو واصحابه لم يجدوا ادنى صعوبة فى التفاهم مع اهل اى صقع من اصقاع الجزيرة العربية ولا وجد هؤلاء من ناحيتهم اية صعوبة فى التفاهم مع النبى والمهاجرين والانصار ، ولا حتى اهل اليمن او اهل البحرين ، وهما ابعد منطقتين فى الجزيرة العربية عن مكة ويثرب موطنى الرسول وصحابته الاوائل . ولا يصح ان يقال ان القرآن والاسلام قد وحد لغة العرب جميعا ، فان هذا التفاهم كان قائما منذ اللحظة الأولى التى اتصل فيها العرب من القبائل المختلفة بالرسول عليه الصلاة والسلام ، اى قبل ان يفعل القرآن فعله المشار اليه .

---

(٦٩) انظر فى هذه المسألة « فى الشعر الجاهلى » / ص « الشعر الجاهلى واللهجات » / ص ٣١ وما بعدها ، « تحت راية القرآن » ص ١٤٢ — ١٤٣ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أن الدكتور طه (والرافعي إلى حد ما) (٧٠) ينسى أن هذه اللهجات قد تفرعت من أصل واحد ، لا كما يريدنا أن نعتقد من أنها قد توجدت في لهجة واحدة هي لهجة قريش ؛ وإذن فانها مهما اختلفت فهو كاختلاف لهجاتنا الحالية ، الذي لا يمنع المثقفين على الأقل من التفاهم باللهجة الفصحى (أو بلهجة قريبة منها) ، أو من الكتابة (عند ما يكتبون) بهذه اللهجة الفصحى . ومن المثقفون في العصر الجاهلي ، ان لم يكونوا هم الشعراء والخطباء ؟ ثم ان العرب ، وان انقسموا قبائل ، كانوا متصلين ببعضهم البعض عن طريق الانتجاع والمصاهرة والحروب والمحالفات والتجارة والحج الى البيت الحرام واللقاءات الأدبية وغير ذلك . . وهن شأن هذا لاتصال ، لا اقول : ان يقيم ، بل يحافظ على هذه القرابة اللغوية بين اللهجات المختلفة .

ويدخل في الدليل اللغوي ماقاله الدكتور طه حسين (٧١) من انه « قد يكون لنا أن نلاحظ . . . ملاحظة لا ادري كيف يتخلص منها انصار القديم ، وهي أن امرأ القيس ، ان صحت احاديث الرواة (يقصد : ان صح انه كان له وجود حقيقي) ، يمني وشعره قرشي اللغة . ولغة اليمن مخالفة كل المخالفة للغة الحجاز ، فكيف نظم الشاعر اليمني شعره في لغة أهل الحجاز ؟ . . . واعجب من هذا أنك لا تجد مطلقا في شعر امرىء القيس لفظا أو اسلوبا أو نحوا من أنحاء القول يدل على انه يمني . فمهما يكن امرؤ القيس قد تاثر بلغة عدنان فكيف نستطيع أن نتصور ان لغته محيت من نفسه محوا تاما ولم يظهر لها اثر في شعره ؟ نظن أن انصار القديم سيجدون كثيرا من المشقة والعناء ليحلوا هذه المشكلة » . وقد رد

---

(٧٠) انظر تفصيل رأيه في ذلك في / ص ٣٧٠ — ٣٧٤ من كتابه الذي نحن بصدده .

(٧١) في الشعر الجاهلي / ص ١٤١ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الأستاذ الرافعي بأن على طه حسين إما أن ينكر وجود امرىء القيس انكارا صريحا ، وعندئذ سيكون حجته عليه هي ذكر هذا الشاعر في الأحاديث المروية عن النبي عليه الصلاة والسلام وكلام عمر وعلي وشعر الفرزدق وجرير وغيرهم ، وإما أن يقر بوجوده اقرارا صريحا ، وعند ذاك تبقى مشكلة اللغة التي ظن أن أنصار القديم سيجدون في حلها كثيرا من المشقة والعناء ، والتي لا صعوبة أيا كانت ، مع ذلك ، في حلها ، إذ ذكر ابن رشيق ، على سبيل المثال ، أن امرأ القيس ، وإن كان يمني النسب ، هو نزاري المولد والمنشأ ، أي أنه لم يولد باليمن ثم ينقل بعد ذلك في قبائل العرب حتى يقال : كيف نسي لغته أو لغته إذن هي لغة عرب الشمال الذين ولد فيهم ونشأ في ديارهم لا الجنوب (٧٢) . وهو رد مفحم يسد الطريق على الدكتور طه سدا لو أنه يحتكم في آرائه في كتابه الذي نحن بصدده إلى المنطق ، لكنه للأسف يستهل أن يرمي العرب والمسلمين جميعا ، من علماء وساسة وقصاصين وشعراء ومتدينين ، بالكذب ، حتى القرآن نفسه اتهمه بأنه قد وضع يده على أسطورة القرابة النسبية بين العرب واليهود التي شاعت في العصر الجاهلي واستغلها لأسباب سياسية .

وما دمنا بصدد الحديث عن امرىء القيس فلنذكر رد الرافعي رحمه الله على الدكتور طه ، الذي ينكر وجود امرىء القيس ، معتمدا الى جانب الدليل اللغوي ، الذي فرغنا منه آنفا ، على أن بعض وقائع حياته مشابهة في خطوطها العامة جدا لبعض الوقائع في حياة عبد الرحمن بن الأشعث ، وأنه ربما أراد قوم أن يؤرخوا له من غير أن يلفتوا نظر الأمويين ، الذين ثار عليهم ابن الأشعث وخلع طاعتهم . ويتلخص رد الرافعي على هذا

---

(٧٢) انظر تحت راية القرآن /ص ٢٦٥ — ٢٦٦ وانظر كذلك د. شوقي ضيف / العصر الجاهلي / ص ٢٤٨ ، حيث يسوق هذا الرد في صدد شبهة د. طه حسين .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المنطلق الغريب فى انه وضع احداث حياة امرىء القيس وابن الاشعث وجها لوجه ، وبين ان المشابهات بينهما ليست بالاهمية التى يدعيها طه حسين ، ولا تدل من ثمة على شىء مما ذهب اليه ، وكذلك ان الناس متشابهون بوجه عام ، ولذلك فقد تتشابه بعض الاحداث الكبرى فى حياتهم . كذلك ان المؤرخين واصحاب الأخبار قد دونوا اخبار ابن الاشعث وحروبه باسانيدها ، فكيف يلجأ اهله الى هذا اللف والدوران على حين يذكر المؤرخون اخباره بصراحة لا مواربة فيها ؟ ثم يفترض الرافعى أن مزعم الدكتور طه حسين صحيح ، ثم يعقب بانه ليس من الفخر ان قصاص ابن الاشعث قد جعلوه شاعرا طرده ابوه ، ووصفوه بالتصعلك والعهر والفحش ، وجعلوه عاجزا ضائعا فى القبائل لا يأخذ بثار ابيه .. الخ . وذلك غير عدد من الأخطاء التاريخية الفاحشة المتصلة بهذا الموضوع والتى تورط فيها الدكتور طه ورده الرافعى فيها الى الصواب مما يمكن القارىء الرجوع الى كتاب الرفعى للاطلاع على تفاصيلها (٧٣) .

ويضيف الدكتور طه دليلا فنيا على ان الشعر الذى قاله امرؤ القيس فى رحلته الى قيصر هو شعر موضوع ، وهو ان هذا الشعر يخلو تماما من الاشارة الى مظاهر الحضارة فى قسطنطينية من كنائس او قصور او نساء روميات (٧٤) . ولكن الرافعى يلفت نظره الى ان المتنبى مثلا قد جاء الى مصر وعاش فيها وخالط اهلها ، ومع ذلك فليس فى شعره وصف للهرم مثلا ، وكل ما كان انه ذكر كلمة « الهرمين » فى شعره ، كما ذكر امرؤ القيس لفظه « قيصر » فى شعره . ويتساءل الرافعى ساخرا : « أم تحسب ان الهرم كان يومئذ صغيرا ثم كبر ؟ » (٧٥) . هذا ، ولعل

---

(٧٣) انظر « فى الشعر الجاهلى » / ص ١٣٤ وما بعدها ، وتحت راية القرآن / ص ٢٧٨ — ٢٨٤ .

(٧٤) انظر « فى الشعر الجاهلى » / ص ١٤٠ .

(٧٥) انظر « تحت راية القرآن » / ص ٢٩٧ — ٢٩٨ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

القارىء يذكر ما قلناه فى أوائل هذا البحث من ان كاتب مادة « امرؤ القيس » فى دائرة المعارف الاسلامية يصدق بحقيقة امرىء القيس بل وبرحلته الى القسطنطينية ، وان رفض قصة الحب بين الشاعر العربى وابنة القيصر . ومع ذلك فاننا لا نستطيع ، فى حدود ما نصرف حاليا عن امرىء القيس ، ان نأخذ جانب الرافعى او طه حسين فى مسألة زيارته للقسطنطينية ، ولكنى أحيل القارىء الى ما كتبه الدكتور شوقى ضيف فى تحقيقه لهذا الأمر الذى انتهى فيه الى الظن بأن « امرأ القيس الشاعر الكندي لم يزر قيصر بيزنطة » بل الذى زاره هو امرؤ القيس اللخمى ، الذى اختلطت اخباره فى ذاكرة العرب ، كما يقول ، باخبار الشاعر (٧٦) . بيد ان موقف الدكتور شوقى ضيف من هذه الرحلة شىء وموقفه من امرىء القيس كشخص حقيقى شىء آخر ، فانه لا يشك فى هذا ابدا ، بل انه يحاول حتى تحديد بعض التواريخ الهامة فى حياته ، كتاريخ ثورة القبائل على ابيه واعمامه وتاريخ وفاته (٧٧) .

هذه بعض آراء د.طه حسين وردود المرحوم الرافعى عليها . وليس معنى هذا ان الأستاذ الرافعى ينكر ان فى الشعر الجاهلى منحولا ، بل انه على العكس يرى ان كثيرا من الشعر الجاهلى قد ضاع وان بعضه منحول (٧٨) . كذلك فانه قد التفت الى اختلاف الروايات احيانا للبيت الواحد والقصيدة الواحدة ، وعلله باعتماد الرواة على الذاكرة التى رغم

---

(٧٦) انظر « العصر الجاهلى » / ص ٢٤١ — ٢٤٣ .

٧٧ المرجع السابق / ص ٢٤٣ . وحبذا لو رجع القارىء الى الفصلين اللذين كتبهما الأستاذ الدكتور عن الشاعر وقبيلته وحياته بأكملها / ص ٢٢٦ — ٢٤٣ .

[redacted] / ص ١٣٥ — ١٣٦ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قوتها فى تلك الأزمان كانت كأى شيء بشرى عرضة للهو والنسيان (٧٩) . وقد سبق أن أشرنا الى أنه عقد للرواية والرواة وقضية الوضع فى الشعر الجاهلى بابا كاملا فى الجزء الأول من كتابه « تاريخ آداب العرب » فصل فيه القول فى هذه القضية وذكر الأسباب المختلفة التى دعت الى وضع الشعر وحمله على شعراء الجاهلية . الا أن قوله ان الدكتور طه قد بنى كتابه « فى الشعر الجاهلى » على هذا الباب (٨٠) غير مسلم ، لأنه رحمه الله لم يأت فى هذا الباب بشيء مهم ينفرد به عما قاله القدماء (٨١) . علاوة على أن دعواه هذه تتعارض مع اتهامه له بالنقل عن هوار ومرجليوث وغيرهما من المستشرقين .

ومما لا أتفق معه فيه تماما قوله أن « بيننا وبين الجاهلية ثم من نقلوا عنها أزمانا متناسخة كادت توفى خمسة عشر قرنا ، وقد باد أكثر الكتب وذهبت فيها أقوال الرواة وعلم العلماء مما حققوه ونصوا عليه وما تسامحوا فيه وتوسعوا به ، فلا يجوز لكائن من كان بين قطبى الأرض أن يثبت أو ينكر ويزيد أو ينقص الا بنص عن المتقدمين ، لأن هذا العلم لا يمكن أن يستقيم على اتباع الظن ولا أن يصح على الشك . فان محل الفرض والتخمين والحدس والاستنتاج انما يجيء بعد أن تجتمع المادة من أطرافها بحيث لا يشذ فيها الا القليل الذى يفرض فيه لقلته انه لا ينقض حكما ولا يبطل رأيا ، للاستغناء بالنصوص الأخرى المتواترة

---

(٧٩) المرجع السابق / ص ٣٣٦ .

(٨٠) المرجع السابق / ص ١٣٦ .

(٨١) يمكن التحقق من ذلك بالرجوع الى هذا الباب من الكتاب المذكور . وانظر أيضا د. ناصر الدين الأسد / مصادر الشعر الجاهلي / ص ٣٧٧ . ود. شوقى ضيف / العصر الجاهلى / ص ١٧٠ ، اللذين يريان نفس الرأى .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

التى تتحقق بها غلبة الظن ان لم يات منها اليقين » (٨٢) . ان الرافعى رحمه الله هنا يحجر واسعا ويصدر حكما ليس من حقه أن يصدره ، اذ من قال ان ما لا يدرك كله يترك كله ! اننا لو اخذنا بهذا الراى لتوقف علينا اننا لن نبحث اية مسالة مما يتصل بالقدماء بل ولا بالمحدثين ، اذ متى توفر لاى انسان كل ما يحتاج اليه للقطع براى يقينى جازم ؟ ان هذا لا يملكه الا واحد فقط هو رب العالمين سبحانه ، الذى احاط بكل شىء علما . ثم ان المرحوم الرافعى يجوز ، كما رأينا ، اصدار الراى اذا شذ من المادة المطلوبة « القليل ، الذى يفرض فيه لقلته انه لا ينقض حكما ولا يبطل رايا » . وسؤالنا هو : كيف نعرف ان ما غاب عنا قليل ؟ وبفرض اننا عرفنا ذلك فمن الكفيل لنا بأن هذا القليل لو ظهر لنا فلن يقلب نتائجنا راسا على عقب ؟ كل ذلك واضح معروف ، فما الذى دفع الاستاذ الرافعى الى تجاهله والدخول من ثمة فيما دخل فيه من مضايق ؟ ان كل ما يطالب به الانسان ، اى انسان ، هو ان يستفرغ كل وسعه فى البحث والتفكير والتقصى وتقليب الامر على وجوهه المختلفة ، فاذا فعل ذلك مخلصا متريثا وراجع نفسه لعله ان يكون قد نسى شيئا او سها عن شىء فباستطاعته ان يمضى على بركة الله ويصدر ما ارتاه من حكم ، على ان يتجنب الشبهات ويجعل حكمه على قدر علمه ويصوغه صياغة دقيقة واضحة . وليس معنى هذا انه بعد ان يقوم بذلك كله لن يخطىء ، فالخطأ وارد فى كل الاحوال ، وكل المطلوب هو كما قلت الاجتهاد والاخلاص واستفراغ الوسع . والرسول الاكرم عليه صلوات الله وسلامه قد عرفنا ان المسلم اذا اجتهد فاصاب فله اجران ، واذا اجتهد فاخطأ فله اجر . ومع ذلك فانى لا ارى للدكتور طه عذرا ، اذ انه لم يستفرغ جهده فى تقصى موضوع بحثه بل انساق مع شكوك اصطنعها اصطناعا سار

---

(٨٢) تحت راية القرآن / ص ١٣٧ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بها وراء مرجليوث وغيره من المستشرقين . ومن هنا كانت نتائجه متهافتة اشد التهافت .

ويبدو ، والله أعلم ، ان هذا التضييق على الباحثين من جانب المرحوم الرافعي راجع الى انه يرى الا ثقة بنصّ القرآن « ان لم يكن عليه دليل من شعرهم (اى عرب الجاهلية) اذ هو وحده المحفوظ عنهم ، وهو كان متن اللغة والخبر والاثر . وهو يؤكد انه لولا صنيع العلماء فى جمع هذه الشواهد لقام الف زنديق يضيفون الى مطاعنهم فى القرآن ان فيه خطأ فى اللغة » (٨٣) . فان صح فهمنا هنا فاننا لا نوافقه رحمه الله على رأيه ، اذ ان مثل هذه الشواهد ، مهما كثرت وثبتت صحتها ، لن تمنع من فى قلبه مرض من اتهام القرآن بما يريد . كذلك فانه يكفى فى نظرنا أن يقول علماء اللغة المسلمون ان هذه اللفظة من القرآن او تلك تعنى كذا . فهم كانوا يعرفون العربية كما كان الجاهلى يعرفها . ويمكنهم الاستشهاد بالشعر الاسلامى والأموى على ذلك ، فان هذا الشعر مكتوب بالعربية مثلما ان الشعر الجاهلى مكتوب بها . ويكفى فى الرد على اى زنديق يخشى الرافعى أن يطعن فى القرآن بأن فيه خطأ فى اللغة ان نقول ان أحدا من معاصرى الرسول من العرب ، بما فيهم الكفار انفسهم وكذلك اليهود والنصارى ، لم يعترض على القرآن بأى شىء من هذه الناحية . اى انه لا خوف على القرآن ابدا ، فى نظرنا ، حتى لو افترضنا المستحيل وقلنا ان الشعر الجاهلى كله مزيف منحول . ومن هنا فان الف كتاب ككتاب الدكتور طه حسين لن يستطيع أن ينال من القرآن أدنى منال .

ومن هنا ايضا فاننا نوافق الدكتور طه على انه لا خوف على القرآن من الشك فى الشعر الجاهلى ، وان كنا نخالفه فى تعليقه الذى يغمز فيه مصدر القرآن والذى يفهم منه ان الرسول ﷺ هو مؤلفه (٨٤) . كما نخالفه ايضا

---

(٨٣) تحت راية القرآن / ص ٢٠٦ — ٢٠٧ .

(٨٤) انظر « فى الشعر الجاهلى » / ص ١٨٢ — ١٨٣ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فى نتائجه التى ظن ان شكوكه المصطنعة القائمة على غير اساس تؤدى اليها . واخيرا فاننا لا نوافق المرحوم الرافعى فى ان استاذ الآداب يجب ان يكون من المبدعين فى الشعر والنثر لان الذوق الفنى المصقول الذى تحتاجه دراسة الأدب لا يمكن فى رايه ، ان يتاتى له الا بهذا الابداع (٨٥) . كما لا نوافقه فى انكاره على طه حسين ان يتكلم فى الشعر لان شعره ، ايام ان كان ينظم الشعر ، ركيك فى نظره (٨٦) ، فان الموهبة والقدرات التى تلزم مؤرخ الأدب وناقده تختلف عن موهبة الشاعر وقدراته . وقد يكون الانسان شاعرا عبقريا ولكنه ليس بشىء فى تاريخ الآداب ونقدها ، كما ان الانسان قد يكون مؤرخا او ناقدا أدبيا مبرزا فى الوقت الذى لا يتمتع فيه بموهبة الشعر او النثر الفنى . وهذا من الأمور المتعارفة المفروغ منها ، ولا ادرى كيف غاب عن المرحوم الرافعى . ولعله كان يلمح بذلك الى انه ، وهو الشاعر الحق (فى رأى نفسه) ، احق من طه حسين بتدريس الأدب العربى فى الجامعة . اننى لا اشاح فى مقدرة الرافعى فى القيام بهذه المهمة لو كانت اسندت اليه ، فقد كان له من علمه بالتاريخ والأدب العربى وكتب النقد والتراث ومن رجاحة عقله وثقوب نظره كما راينا فى خلال دراستنا هذه ، وكذلك من ذوقه الأدبى المرهف ، ما كان خليقا ان يساعده خير مساعدة فى هذا السبيل . ومن المؤكد انه كان سيكون افضل من اى مستشرق ، بل وافضل من طه حسين نفسه (فى ذلك الوقت على الأقل حين كانت معرفة الدكتور طه بالتراث الأدبى العربى محدودة كما راينا ، مما اوقعه فى كثير من الاستنتاجات الشاذة المتهافتة) . مرة اخرى انا لا اشاح فى مقدرة الرافعى عليه رحمة الله ، غير انى لا اوافقه على شرطه هذا المتعنت الذى لو كان يؤمن به حقيقة لوجب عليه ان يرفض

---

(٨٦) المرجع السابق / ص ٢٥١ .

(٨٥) تحت راية القرآن / ص ١٣٠ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ما كتبه معظم علماء الأدب المشارقة القدماء الذين لم يكونوا شعراء أمثال ، بل شعراء قوى عصر ركيك ، وهو ما لا يمكن أن يقول به ، إذ هو يوليهم ثقته ويقبل علمهم ويعتمد عليهم .

وبهذا نصل إلى ختام بحثنا ، الذي نرجو أن يكون قد جاء موضوعيا محايدا كما انطوينا حين بدأناه . والله يتقبل أعمالنا ويوفقنا دائما إلى نور الحق .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المصـــادر والمراجـــع

د. ابراهيم عبد الرحمن محمد / بين القديم والجديد / دراسات في الأدب والنقد / مكتبة الشباب / ١٩٨٣ .

د. ابراهيم عوض / تفسير سورة التوبة / ١٩٨٧ .

د. ابراهيم عوض / تفسير سورة المـــائدة / ١٩٨٦ .

د. ابراهيم عوض / المستشرقون والقرآن / دار الحقوق / ١٩٨٤ .

د. ابراهيم عوض / مصدر القرآن — دراسة في الاعجاز النفسي / ١٩٨٦ .

د. احمد كمال زكي وآخرون / طه حسين كما يعرفه كتاب عصره / دار الهـــلال .

أحمد لطفي السيد / قصة حياتي / كتاب الهلال / عدد ٣٧٧ / مايو ١٩٨٢ .

اسماعيل ادهم / طه حسين — دراسة وتحليـــل / ط . مجلة الحديث / حلب / ١٩٣٨ .

أندريه كريسون / ديكارت (ترجمة تيسير شيخ الأرض) دار بيروت / ١٩٥٦ .ف

انور الجندي / طه حسين — حياته وفكره في ضوء الاسلام / دار الاعتصـــام / ط ١ / ١٩٧٦ .

برتراندرسل / حكمة الغرب (ترجمة د. فؤاد زكريا) ج/٢ / عالم المعـــرفة / عدد ٧٣ / ديسمبر ١٩٨٣ .

د.توفيق الطويل / أسس الفلسفة / دار النهضة العربية / ط ١٩٧٦/٦ .

د. حسين فوزي النجار / أحمد لطفي السيد — أستاذ الجيـــل / أعلام العـــرب / عدد ٣٩ / مكتبة مصر .

دائرة المعـــارف الاسلامية / دار الشعب .

ديكارت / تأملات في الفلسفة الأولى (ترجمة وتقديم وتعليق د. عثمان أمين) / مكتبة الأنجلو المصرية / ط٤ / ١٩٨٠ .

إهداء من شبكة الألوكة — www.alukah

رينيه ديكارت / مقال عن المنهج لاحكام قيادة العقل والبحث عن الحقيقة فى العلوم (ترجمة محمود محمد الخضرى) / ط ١ / المطبعة السلفية / ١٩٣٠ .

سامح كريم / ماذا يبقى من طه حسين ؟ / دار الشعب / ١٩٧٥ .

سامى الكالى / مع طه حسين / ج١ / سلسلة اقرأ / عدد ١١٢ .

سامى الكيالى / مع طه حسين ج٢ / سلسلة اقرأ / عدد ٣٠١ .

سوزان طه حسين / معك / دار المعارف / ١٩٧٩ .

د. شوقى ضيف / العصر الجاهلى / دار المعارف / ط٧ / ١٩٧٦ .

طه حسين / الأيام / ج٣ / المعارف / ط٦ / ١٩٨٢ .

طه حسين / حديث الأربعاء / ج١ / دار المعارف / ط١١ / ١٩٧٥ .

طه حسين / حديث الأربعاء / ج٣ / دار المعارف / ١٩٤٥ .

طه حسين / حديث الأربعاء / ج١ / دار المعارف / ط١١ / دار العرب للبستانى .

طه حسين / فى الأدب الجاهلى / دار المعارف / ١٩٦٤ .

طه حسين / فى الشعر الجاهلى / مطبعة دار الكتب / ١٩٢٦ .

طه حسين / مع المتنبى / لجنة التأليف والترجمة والنشر / ط ١ / ١٩٣٦ (جزآن) .

عباس محمود العقاد / مطلع النور او طوالع البعثة المحمدية / كتاب الهلال / عدد ٥٠ / مايو ١٩٥٥ .

د. عبد الرحمن بدوى (مشرف) / الى طه حسين فى عيد ميلاده السبعين / ١٩٦٢ .

عبد المتعال الصعيدى / الحرية الدينية فى الاسلام / ط ٢ / دار الفكر العربى .

عبد المتعال الصعيدى / دراسات اسلامية / ط ١ دار الفكر العربى .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عبد المتعال الصعيدى / مع زعيم الأدب العربى فى القرن العشرين / مكتبة الجندى .

د. عثمان أمين / ديكارت / ط٣ / مكتبة النهضة المصرية / ١٩٥٣ .

عثمان نويه / أعلام الفكر الأوربى من سقراط الى سارتر ج١ / كتاب الهلال / عدد ٣١٣ / يناير ١٩٧٧ .

د. عفت الشرقاوى / دروس ونصوص فى قضايا الأدب الجاهلى / دار النهضة العربية ببيروت / ١٩٧٩ .

فتحى رضوان / عصر ورجال / مكتبة الأنجلو المصرية / ١٩٦٧ .

كمال ثابت قلته / طه حسين وأثر الثقافة الفرنسية فى أدبه / دار المعارف بمصر .

محمد أحمد عرفة / نقض مطاعن فى القرآن الكريم / ط٢ / مكتبة الزهراء / ١٩٨٦ .

محمد أحمد الغمراوى / النقد التحليلى لكتاب « فى الأدب الجاهلى » / المطبعة السلفية / ١٩٢٩ .

د. محمد حسين هيكل / مذكرات فى السياسة المصرية / ج١ / مطبعة مصر / ١٩٥١ .

محمد سعيد العريان / حياة الرافعى / ط٣ / مطبعة الاستقامة بالقاهرة / ١٩٥٥ .

محمد بن سلام الجمحى / طبقات فحول الشعراء (شرح محمود محمد شاكر) / دار المعارف / ١٩٥٢ .

محمد سيد كيلانى / طه حسين الشاعر الكاتب / ط١ / دار القومية العربية للطباعة والنشر / ١٩٦٣ .

محمد شلبى / مع رواد الفكر والفن / الهيئة العامة للكتاب / ١٩٨٢ .

د. محمد محمد حسين / الاتجاهات الوطنية فى الأدب العربى المعاصر / ج١ / ط٣ / مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز / ١٣٨٢ هـ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

محمودشاكر / المتنبى / السفر الأول / مطبعة المدني / ١٩٧٦ .

د. مراد وهبة / قصة الفلسفة / سلسلة اقرا / عدد ٣٠٥ / ١٥ ابريـــل ١٩٨٥ .

مصطفى صادق الرافعى / تحت راية القرآن — المعركة بين القديم والجديد / ط٣ مطبعة الاستقامة بالقـــاهرة / ١٩٥٣ .

د. ناصر الدين الأسد / مصادر الشعر الجـــاهلى وقيمتها التاريخية / دار المعـــارف بمصر / ١٩٥٦ .

د. نعمات فؤاد / قيم ادبية / عالم الكتب / ١٩٦٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مراجع أجنبيـــة

Antony Flew, A Dictionary Of Philosophy, Pan Books, I979,

Bertrand Russell, A History Of Western Philosophy, George Allen & Unwin Ltd., London I947.

Ch. Dezobry & Th. Bachelet, Dictionnaire General de Biographie et d' Histoire ....., Paris, Librairie Ch. Delagrave, I883.

Clement Huart, Arabic Literature, William Heinemann, London, I903.

Clement Huart, la Litterature Arabe, Librairie Arman Colin, Paris, I939, 4 ième edition.

Descartes, Discours, de La Methode, Hachette et Cie, Paris, I9I6.

Regis Blachère, Le Coran, Paris, Librairie Orientale et Américaine, I954.

Earl Of Cromer, Modern Egpt, Vol. II, Macmillan & Co., London,

Enoyclopaedia Of Religion & Ethics, vol. 8.

Margoliouth, Mohammed & the Rise Of Islam, G. P. Putman's Sons, New york & Lonbon, I905.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الدوريات

الأهـــرام / أعداد الجمعة :
١٩٨٦/١/٣ .
١٩٨٦/١/١٧ .
١٩٨٦/٢/٧ .
١٩٨٦/١٠/٣١ .
١٩٨٦/١١/٧ .
١٩٨٦/١١/١٤ .

الثقافة / سبتمبـــر ١٩٧٨ ، ونوفمبر ١٩٧٩ ، وفبراير ١٩٨٠ .

الجريدة / ١٩٠٧/٤/٣٠ .

الحديث (الحلبية) / نيسان (ابريل) ١٩٣٨ .

النور / ١١ صفر / ١٤٠٧ هـ (١٥ أكتوبر / ١٩٨٦) .

الهلال / سبتمبر ١٩٨٤ .

Journol Of Asiatic Royal Society,July 1925, & July 1927.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المـــؤلف

١ ــ الترجمة من الانجليزية ــ منهج جديد .

٢ ــ فى الشعر الاسلامى والاموى ــ تحليل وتذوق .

٣ ــ فى الشعر العباسى ــ تحليل وتذوق .

٤ ــ فى الشعر الاندلسى ــ تحليل وتذوق .

٥ ــ فى الشعر العربى الحديث ــ تحليل وتذوق .

٦ ــ فصول من النقد القصصى ــ رؤية جديدة .

٧ ــ من اعلام النقد القصصى (بالانجليزية) .

٨ ــ المستشرقون والقرآن .

٩ ــ مصدر القرآن ــ دراسة فى الاعجاز النفسى .

١٠ ــ من الطبرى الى سيد قطب ــ دراسة فى مناهج التفسير ومذاهبه .

١١ ــ تفسير سورة المائدة .

١٢ ــ تفسير سورة التوبة .

١٣ ــ محمود طاهر لاشين .

١٤ ــ نقد القصة فى مصر .

١٥ ــ Novel - Criticism in Eygpt

١٦ ــ المتنبى ــ دراسة جديدة لحياته وشخصيته .

١٧ ــ معركة الشعر الجاهلى بين الرافعى وطه حسين ــ بحث موضوعى مفصـــل .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فهـــــرست

الموضوع	الصفحة
المقـــدمة	٧
متى وكيف بدأت معركة الشعر الجاهلى ؟	٩
القضايا المتصلة بهذه المعركة	١٥
اتهام الرافعى لطه حسين فى عقيدته	٢٧
حريـــة الفكر	٣٩
اتهام الرافعى لطه حسين بسرقة آراء المستشرقين	٤٩
تشابه آراء طه حسين ومرجليوث	٥٦
هل كان طه حسين على علم بمقالة مرجليوث فى الشعر الجاهلى ؟	٦٤
هل استوحى طه حسين نظريته فى الشعر الجاهلى من رينان ؟	٧٨
هل ما قاله طه حسين هو نفسى ما قاله ابن سلام ؟	٩٥
نقد الرافعى لمنهج طه حسين فى دراسة الشعر الجاهلى ولآرائه فيه	١٠٥
المصـــادر والمراجع	١٢٩
كتب للمـــؤلف	١٣٥

رقم الايداع بدار الكتب ٨٧/٢٩٣٥

مطبعة الفجر الجديد

٣٨ شارع الكبارى — منشية ناصر